

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام

ابن تيمية والسراج الصوفي

من خلال كتاب الاستقامة

إعداد الطالب
عبد العزيز بن علي العقلة

بحث تكميلي لمرحلة الماجستير / قسم الدعوة

إشراف الدكتور
زيد بن عبد الكريم الزبير
١٤٠٧ - ١٤٠٨ هـ

— بسم الله الرحمن الرحيم —

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الهادي النذير محمد بن عبدالله الذي أنار السبيل وأوضح الحق لأمته فما ترك خيراً إلا دلها عليه ولا شراً إلا ونهاها عنه إبلاغاً لدين الله ورحمة بهذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس .. وبعد :-

فمن أعظم ما ابتلى به المسلمون قديماً وحديثاً فتنة التعوف هذه الفتنة التي ظهرت على الناس بلباس الطهر والعفة والزهد بينما هي في باطنها تحمل أنواع الشرك والفلال والمروق عن الدين بسلوكها وعقائدها التي ما أنزل الله بها من سلطان ، فكانت سبباً من أسباب ضلال كثير من الناس بل لعل لا أبالغ إذا قلت إنها من أسباب هزيمة العالم الإسلامي وتأخر المسلمين حيث سخرتهم العوفية لتعظيم زعمائها وعودتهم على الكسل والميل للدعة بحجة الزهد في الدنيا والاتجاه إلى الله كذباً وبهتاناً . وبما أن الله قد تكفل بحفظ كتابه وشرعه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (١) فقد كان من مور هذا الحفظ أن هيأ الله فئة من العلماء الذين سخرهم الله للوقوف أمام مثل هذه التيارات الضالة ففتح الله عليهم من معرفة ومكن لهم فنافخوا عن هذا الدين وأبأنوا الحق وردوا الباطل ومن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية

الذى نحسبه والله حسيه من أولئك المجددين الذين نصر الله بهم الإسلام ورد بهم كيد أعدائه فوقف مواقفه المشهورة أمام أصحاب العقائد والأفكار الضالة وقارعهم بالحجة المبنية على الكتاب والسنة ومنهم الصوفية الذين نال ابن تيمية بسببهم الكثير من الأذى .

وبما أن ابن تيمية / حسب اعتقادي / يمثل جامعة علمية بسعة اطلاعه وكثره مؤلفاته الممثلة للاتجاه السلفي المعتمد على الكتاب والسنة فقد كنت مهتماً بالاطلاع على مؤلفاته وكان فيما قرأت كتابه / الاستقامة / الذى ناقش فيه بعض عقائد وأفكار الصوفية ونظراً لاسلوب شيخ الإسلام فى التوسع والاستطراد فى الكتابه فقد رأيت أن الفائدة من هذا الكتاب لا تتم للكثيرين نظراً لطوله فعزمت على محاولة إبراز رأى ابن تيمية فى الصوفية من خلال هذا الكتاب ولكن بعد الدراسات الأولية وإعداد خطة البحث وجدت الأمر أكبر مما اتصوره وأنه يحتاج الى وقت وجهـد كبيرين لا أملكهما فى الوقت الحاضر وبعد التفكير والمراجعة والاستشارة والاستشارة قررت الاقتصار على موضوع واحد من مواضيع هذا الكتاب ألا وهو / السماع / الذى رأيت أنه أحد وسائل الصوفية التى اضلوا بها الناس عن دين الله وتحليل ما حرم الله فبإسم السماع أباحوا الاجتماع من أجل الغناء وسمعوا من النساء / الملاح / والمصيان الذين يتمتعون بأصوات وصور جميلة والمصيبة العظمى أنهم جعلوا ذلك عبادة يتقربون بها إلى الله .

وقد بذلت فى هذا البحث الجهد المستطاع قاصداً من ذلك / إن شاء الله /

إظهار الحق والتيسير على طالب العلم وقد واجهتني عدة معويات من أهمها :

(١) تأخر تسجيلي للبحث فكان الوقت قصيرا لم يمكنني من التوسع في

الاطلاع والبحث .

(٢) كثرة الاحاديث والتراجم مما اخذ مني الوقت الكثير في التخييج

والبحث عن التراجم .

(٣) عدم توفر مراجع الصوفيه في الأسواق والمكتبات العامة لاتمكن من

ارتسيادها وقتا طويلا .

على أنه مما يسر لي بعض المعويات ما بذله فضيلة الاستاذ المشرف

الدكتور زيد بن عبد الكريم الزيد من توجيهات شاكرا له ما بذله من جهد

ووقت في سبيل استكمال هذا البحث .

هذا وقد حاولت في هذا البحث أن اقتصر على إبراز رأي ابن تيمية

مع الاستعانة ببعض الافكار المشابهة لرأيه وبالذات ابن الجوزي وابن

القيم / رحمهم الله / سالكا في ذلك منهجا استقرايا قدر المستطاع

مع الاستعانة بالمناهج الاخرى ، ثم إنني لم أترجم للشخصيات المشهورة

وبالذات الصحابة - رضی اللہ عنہم - أجمعين لظني ان العلم لا يعرف .

أما خطتي للبحث فكانت على النحو التالي :

(١) بدأت كمدخل للبحث بتمهيد حاولت فيه ان اقدم ترجمة موجزة لشيخ

الاسلام ابن تيميه وتعريفاً بكتابه "الاستقامة" ، وكذلك ترجمة

للشيري وكتابه الرسالة باعتبار أن ابن تيميه إنما شرح بعض

نصوص هذا الكتاب . كما أوردت تعريفا للتصوف ونبذة تاريخية عن نشأته وتطوره .

(٢) الفصل الاول وكان عن السماع وأقسامه وقد اشتمل على عدة مباحث أهمها :

- تعريف السماع وأقسامه .
- السماع المشروع وأدلته .
- السماع غير المشروع وحكمه .
- السماع المباح وحكم الشعر .

(٣) الفصل الثانى وكان عن السماع الصوفى وقد تضمن البحوث التالية :-

- بدايات السماع وتطوره عند الصوفية .
- شبه الصوفية وأدلتهم على سماعهم .
- أحوال الصوفية عند السماع .
- ما يصحب السماع من منكرات .
- أثر السماع عليهم .
- أقوال مشايخ الصوفية فى السماع .

(٤) الفصل الثالث : موقف ابن تيمية من السماع الصوفى ومن أبحاثه :

- ١ - رد ابن تيمية المجلد والمفصل لادلة الصوفية وبيان الحق .
- ٢ - المقارنة بين السماع المشروع والسماع الصوفى .
- ٣ - توجيه ابن تيمية لأقوال مشايخ الصوفية فى السماع .
- الخاتمة .

وفي الختام أرجو الله العلي العظيم أن أكون قد وفقت فيما
بذلت من جهد والا أكون قد ارتكبت خطأ في فهم خاطيء لنص —
آيه أو حديث أو قول معين .
والله المستعان وعليه التكلان — صلى الله على نبينا محمد — واله
وصحبه وسلم .

* * *

تمهيد :

لما كان هذا البحث يُعنى برأى شيخ الاسلام ابن تيمية فى إحدى مسائل التصوف وهى مسألة السماع والتى ناقشها ابن تيمية من خلال استعراض بعض نصوص الرسالة القشيرية رأيت من واجبى كمدخل لهذا البحث إيراد نبذة عن حياة ابن تيمية وعن الرسالة القشيرية ومؤلفها الإمام القشيري وتعريف بكتابه الاستقامة وتعريف التصوف ونشأته وتطوره لكي نكون على بينة عما نتحدث عنه .

أولا : شيخ الإسلام ابن تيمية :-

هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية .

ولد فى حران (١) يوم ١٠/٢/٦٦٢ هـ ثم إنتقل إلى دمشق بعد أن بلغ من العمر سبع سنوات .

اشتهر بالنبوغ والحفظ وهو صغير واشتغل بحفظ القرآن والفقه والعربية فى الصغر وسمع من أكثر من مائتى شيخ .

جده أبو البركات مجد الدين من أئمة المذهب الحنبلى ووالده لــــه

(١) بلدة قديمه تقع شمال شرقى تركيا قرب أورفه وهى الآن بلسده

عامره وهى غير حران العواميد فهذه شرقى دمشق وكانت تسمى حران المرج - البزار الأعلام العليه فى مناقب ابن تيمية تحقيق

الشاويش / ١٦ .

فضائل كثيرة" وله كرسى للتدريس بجامعة دمشق وولى مشيخة دار الحديث .
يرجع نسبه إلى جده الأكبر محمد بن الخضر ، وينسب إلى بلدته حران
أو إلى قبيلة نمير .

يعتبر ابن تيمية من حماة المذهب الحنبلى ومناصريه وإن كان مجتهدا
يقول بما صح به الدليل عنده وله معارك علمية مع الفقهاء والمحدثين
والمتكلمين وأصحاب المذاهب والفرق عانى فى سبيلها الكثير حيث سجن
عدة مرات فى مصر والشام بسبب آرائه ومعتقداته ، وكان الكثير ممن
معارضة يتجنب مواجهته نظرا لما حباه الله من العلم والذكاء بحيث
تجده يفوق صاحب العلم أو الرأى فى علمه أو رأيه لماله من اطلاع
واسع فى شتى العلوم وله مواقف كثيرة ومناظرات مع المتصوفة والرافضة
يطول الكلام لو استعرضنا جانبها منها .

اشتهر بالشجاعة والزهد وسرعة البديهة وجاهد بلسانه وسانه وقلمه
وله مواقف مشهورة فى هذا المجال .

يقول الاستاذ محمد أبو زهرة " إن الصوفية هم الذين سيطروا على
السلطان الناصر فى مصر حتى غيروه على صديقه ابن تيمية فأجاز اعتقاله
بالقلعة خصوصا وأن آخر ما أخذ عليه هو مسألة القبور وشد الرحال
للمساجد وتلك أمور مما يعنى بها الصوفية " (١)

له مؤلفات كثيرة تزيد على المائتين منها ما هو مطبوع ومنها ما هو

(١) أبو زهرة ابن تيمية حياته وعصره - ٢٠٦ - ٢٠٧ .

مخطوط ومن ذلك أنه جمع فى التفسير أكثر من ثلاثين مجلداً ، وممن كتبه الكتاب الذى بين أيدينا - الاستقامة - واقتضاء الصراط المستقيم ، الكلم الطيب ، الفرق البين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان الخ وقد جمع له من الفتاوى ٣٧ مجلداً (١) .

ومن أعجب ما ذكر عنه أنه فى محنته الأولى بمصر لما سجن صنف عسدة كتب ذكر فيها ما احتاج إليه من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم وعزا كل شئ إلى ناقله وقائله بالاسم وذكر أسماء الكتب التى ذكر فيها ومواضعها كل ذلك من حفظه لأنه لم يكن عنده كتاب يطلعه ، وقد نُقبت واختبرت فلم يوجد فيها خلل ولا تغيير .

توفى - رحمه الله - فى السجن بدمشق صباح يوم الاثنين ٢٠/١٠/٧٢٨هـ — وكان عمره ٦٧ سنة وصلى عليه خلق كثيرٌ عدواً بمشائى الآلاف (٢) .

-
- (١) يقول الأستاذ زهير الشاويش : إن هناك الكثير من الفتاوى لم يطبع وان عنده جزءٌ كبيرٌ مخطوطاً منها لم تطبع .
- (٢) انظر البزار الأعلام العلية فى مناقب ابن تيمية :
- أحمد قطان ومحمد زين شيخ الاسلام ابن تيمية جهاده ودعوته وعقيدته .
 - محمود الاستنبولى ابن تيمية بطل الإصلاح الدينى .
 - ابن عبد الهادى العقود الدرية .
 - صلاح الدين المنجد شيخ الاسلام سيرته وأخباره عند المؤرخين .

ثانيا : كتاب الاستقامه :-

هذا الكتاب من أجل كتب ابن تيمية ويقع في مجلدين وقد قسام الدكتور / محمد رشاد سالم - رحمه الله - بتحقيقه وطبع في مجلدين كبيرين مجموع أوراقهما حوالى (٩٦٠) صفحة ، ويتضح من كلام المحقق أن ابن تيمية ألفه فى الفترة من ٧٠٥ الى ٧٠٩ هـ أيام سجنه فى مصر .

والموضوع الرئيسى للكتاب هو التصوف من خلال إستعراض بعض نصوص الرسالة القشيرية حيث إستعرض عقائد الصوفية وموضوع السماع عندهم وكذلك بدعة الجمال والغيره والرضا والسُكر وأختتم الكتاب بفصل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفى فصل السماع - الذى هو موضوع بحثنا - أورد ابن تيمية فقرات من أقوال القشيري وبعض مشايخ الصوفية فى عرضه لهذا الموضوع وشرحها مبينا ما فيها من صواب ملتصقا بالعدل لما تضمنته من أقوال خاطئة منسوبة إلى الأفاضل من شيوخ الصوفية راداً للقول الخاطيء الغير محتمل للتأويل مستدلا بذلك بالكتاب والسنة وأقوال الصحابه والتابعين وآئمة المذاهب الأربعة المشهورة .

ثالثا : رساله القشيريه ومؤلفها :-

ومؤلف الرساله هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك

بن طلحة النيسابورى القشيري ولد سنة ٣٧٦هـ فى نيسابور (١) وتوفى بها عام ٤٦٥هـ وهو عربى من قبيلة قشير بن كعب تتلمذ على يد كثير من مشايخ الصوفية كابن فورك (٢) والاسفرايينى (٣) وأبى على (٤) الدقاق الذى زوجه ابنته .

وقد انتهى الأمر بالقشيري إلى أن يكون من أئمة الصوفية المشهورين وله ستة أبناء ساروا على نهجه فى التصوف .

أما المؤلفات فله عدة مؤلفات فى التصوف والأدب والتفسير أغلبها مخطوط إلا أن رسالته التى اشتهرت (بالرسالة القشيرية) أكثر من غيرها ذكر فيها بعض عقائد الصوفية وتراجم للمشايخ الصوفية المشهورين وأخبارهم .

(١) نيسابور أهم مدن خراسان فى وقتها وإحدى مدن إيران الهامة فى العصور الوسطى وهى مدينة قديمة مقدسة عند الفرس حيث يوجد فى تلالها بيت من بيوت النار المقدسة ، والجغرافيون العرب يطلقونها على منطقته واسمها تشمل بخارى وجام وطوس السلى - طبقات الصوفية ١٥/ .

(٢) ابن فورك : هو محمد بن الحسن بن فورك الأنصارى الأصفهانى وهو عالم بالأصول والكلام ومن فقهاء الشافعية بنى مدرسة نيسابور وتوفى سنة ٤٦٥هـ - الأعلام ٣١٣/٦ .

(٣) هو أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايينى - القشيري ج ١ ، ص ٣٦١ .

(٤) أبو على الحسن بن على الدقاق النيسابورى شيخ الصوفية وأستاذ القشيري توفى سنة ٤٠٦هـ - شذرات الذهب ١٨٠/٣ .

ويعتبر القشيري من معتدلى الصوفية، إلا أنه وافق الأشعرية في مسألة الصفات خلافاً للمشهورين من قدماء مشايخ الصوفية، وقد ألف الرسالة كما يقول محققها - د/ عبد الحليم محمود / عام ٤٣٧هـ تصحيحاً لأوضاع كثيره انحرفت وبياناً لما ينبغي أن يكون عليه المرید الصادق كما بين مبادئ السلوك ومناهجه .

ويقول الدكتور/ إبراهيم بسيوني : إن مقاصد القشيري من تحرير رسالته ثلاثة وجوه هي :

- ١ - دفاع عن التوحيد الصوفى وأنه لا يجافى التوحيد السنى (١) .
 - ٢ - وصل علوم الطريقه والحقيقه بالشريعة والعقيدة .
 - ٣ - نفى كل بدعة أو ضلالة عن التصوف والمتصوفة .
- وقد تُرجمت الرسالة القشيرية للفرسية وشرحت عدة شروح وقد قُسام بتحقيقها كل من الدكتور / عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف فى مجلدين يحويان ٧٩٧ صفحه (٢) .
- يقول ابن تيمية عن الرسالة : وما ذكره أبو القاسم فى رسالته من اعتقادهم وأخلاقهم وطريقتهم فيه من الخير والحق والدين أشياء كثيرة ولكن فيه نقص عن طريقة أكثر أولياء الله الكاملين إلى أن قال:

(١) يقول الاستاذ/ عبد الرحمن الوكيل : إن القشيري الذى يتظاهروا بتمجيد السنه هو الذى زعم فى رسالته أن قبر معروف الكرخى يستشفى به وثقل قول الكرخى للسقطى : إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بى / البقاعى مصرع التصوف - ٢١١ .

(٢) د/ إبراهيم بسيوني - الإمام القشيري سيرته - آثاره - مذهبه فى التصوف، الرسالة القشيرية تحقيق د/ عبد الحليم محمود ومحمود شريف

ومع ما فى كتابه من الفوائد ففيه أحاديث ضعيفه بل باطله وفيه
كلمات مجمله تحتل الحق والباطل ... فكتبت من تميز ذلك ما يسره
الله وأجتهدت فى اتباع سبيل الأمان الوسط الذين هم شهداء على الناس
..... الخ (١) .

رابعاً : تعريف التصوف :-

لقد كثرت وتشعبت تعاريف التصوف إلى حد يصعب معه حصرها فكل
يدلى بدلوه ويحاول إختيار الألفاظ التى تحيط وتوضح المقصود منه
ولكن ذلك لم يتحقق نظراً لغموض الصوفية فى سلوكها وأهدافها، لذلك
سنختار نماذج من تلك التعاريف من ناحية الإشتقاق اللغوى ومن ناحية
التعريف الاصطلاحى فنقول :

١- من أين أخذت كلمة صوفى ؟

١ - إنه نسبة إلى لبس الصوف لأن الصوفية اشتهروا بلبس الصوف فقليل
صوفى نسبة لظاهر اللباس .

٢ - وقيل نسبة إلى صوفه وهو رجل انفرّد بخدمة الله سبحانه عنده
الحرم ويدعى صوفه - واسمه الغوث بن مر - وقد انتسب إليه الصوفية
لمشابهتهم لحاله كما يدعون .

٣ - وبعضهم نسب إلى الصفة التى كانت بأحد نواحي مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة التى كان يقيم فيها

(١) ابن تيمية الاستقامة ١/ ٨٩ - ٩٠ .

فقراء الصحابة .

٤ - يرى جورجى زيدان أن كلمة "صوف" مشتقة من الكلمة اليونانية

(سوفيا) ومعناها الحكمة .

٥ - وقيل نسبة إلى الصف الأول أو إلى الصفة من خلق الله .

ويرجح الكثيرون ومنهم ابن تيمية النسبة إلى الصوف فى حين يرى

القشيري أنه كاللقب لأنه لا يشهد له فى العربية قياس ولا اشتقاق (١) .

والذى نراه أنهم اشتهروا بهذا الاسم لأنهم فى البدايه كانوا يشار

إليهم بالزهاد ومن الزهد لبس الخشن من الثياب وأغلبه من الصوف

وهكذا ومع تعاقب الأيام نسبوا إليه فصار علما عليهم ، وقد وردت

عبارات عنهم حول لبس الصوف وتعليق الخرق مما يؤيد ما ذهبنا إليه .

ب - التعريف الاصطلاحى : وأوصل بعضهم التعاريف إلى الفى تعريف (٢) وسنختار

نماذج تمثل رأى السابقين والمحدثين ومن ذلك :

١ - نقل القشيري فى رسالته عدة تعريفات منها :

- هو الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى .

- ان يميّتك الحق عنك ويحييك به .

- أخلاق كريمه ظهر فى زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام .

- استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده .

- أن تكون مع الله بلا علاقة .

(٢) انظر ابن تيمية - الفتاوى ٦/١١ .

- القشيري الرسالة ٥٥٥/٢ .

- صابر طعيمه الصوفية معتقدا ومسلكا - ٢٠ .

(٢) - إحسان ظهير التصوف المنشأ والمصادر - ٢٠ .

- الأخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدي الخلائق .
- نكز مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع (١) .
- ٢ - مما أورده ابن تيمية قول بعضهم : الصوفى من صفا من الكـدر وأمتلا من الفكر واستوى عنده الذهب والحجر ، والتصوف كتمان المعانى وترك الدعاوى (٢) .
- ٣ - يقول الإمام الغزالى : التصوف طرح النفس بالعبودية وتعليق القلب بالربوبية ، وقيل : كتمان الخافات ومدافعة الآفات (٣) .
- ٤ - يشير الدكتور التفتازانى إلى أن التعريف الأشمل للتصوف هو : أنه فلسفة حياة تهدف إلى الترقى بالنفس الانسانية أخلاقياً وتتحقق بواسطة رياضيات عملية معينة تؤدي إلى الشعور فى بعض الأحيان بالفناء بالحقيقة الأسمى والعرفان بها ذوقاً لا عقلاً ويمعب التعبير عن حقائقها بألفاظ اللغة العادية لأنها وجدانية الطابع (٤)
- ٥ - طريقه زهديه فى التربية النفسية يعتمد على جملة من العقائد الغيبية مما لم يقم على صحتها دليل فى الشرع ولا فى العقل (٥) .
- ٦ - يورد الدكتور مصطفى حلمى تعريفاً يقول أن ابن تيمية وضعه للتصوف الذى يرتضيه وهو : من بنى الإرادة والعبادة والعمل والسماع

(٢) القشيري رساله القشيرية ٥٥١/٢ .

(٢) ابن تيمية الفتاوى ١٦/١١ .

(٣) الغزالى روضة الطالبين وعمدة السالكين ٢٩ .

(٤) أبو الوفاء التفتازانى الغنيمى - هو دخل إلى التصوف ١١/١٠ .

(٥) محمد شقفه التصوف بين الحق والباطل - ٧ .

المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال البدنية
على الإيمان والسنة والهدى الذى كان عليه محمد - صلى الله عليه وسلم -
وأصحابه فقد أصاب طريق النبوة (١) .

إلا أننا نرى أن هذا التعريف الأخير المنسوب لابن تيمية لا ينطبق
على الصوفية ، ذلك أنها لو سلكت هذا الطريق وتقيدت بهدى المصطفى
عليه السلام لما سميت بهذا الاسم واشتهرت به فإن هذا هو طريق
السلف الصالح من الزهاد والعباد ولا طريق الصوفية التى يغلب
عليها الضلال ولعل التعريف الخامس - الذى أورده محمد شقفه - هو
الأقرب إلى الواقع مع إختصاره والله أعلم .

(١) مصطفى حلمى . ابن تيمية والتصوف - ٤٨ .

خامسا : نشأة التصوف وتطوره :-

إن المتتبع لتاريخ الدولة الإسلامية يجدها مرت بمراحل انتقلت خلالها من مرحلة إلى أخرى نقلة سريعة - فى عمر الشعوب - حيث بدأت الدولة صغيرةً ضعيفة فقيرة ومن ثم توسعت بسرعة بفضل الفتح الإسلامى الساعى لنشر دين الله فى الأرض ووافق هذا التوسع ما يلزمه من تطور ودخول شعوب ودول أخرى وثقافات ضمن دائرته وبالتالي صار لتلك الشعوب والدول تأثيرها فى مجريات الحياة فى هذه الدولة الفتية ، وبالنظر إلى أن الإسلام دين الفطرة والصحابه نشأوا فى الجزيرة العربية التى يعيش أهلها على سجيّتهم الصحراوية البعيدة عن المدينة لذلك كان هناك ما يسمى بردة الفعل من هذا التطور السريع وابتعاد الناس وانشغالهم عن الدين بمتع الحياة من المناصب والمراكب والبيوت وغيرها حيث فتحت لهم أجمل البلدان وأغناها وشاهدوا حضارات الفرس والروم فتأثر كثير منهم بذلك من هنا نستطيع القول أن من أسباب الاتجاه للتصوف ما يلى :

- ١ - ردة الفعل لانشغال الناس بمتع الحياة وافتتانهم بها بعد توسع الفتح الإسلامى مما أدى إلى زهد بعض الصالحين بهذه المتع ومن ثم تطور هذا الزهد إلى ما سمي بالتصوف .
- ٢ - تأثير الثقافات الأجنبية على المسلمين من خلال اختلاطهم بأصحاب الديانات الأخرى وعن طريق الترجمة التى نقل من خلالها ما فى تلك الديانات من عقائد وأفكار وفلسفه .

٣ - يلاحظ المتتبع لمسار التصوف ارتباطه بالتشيع والتشابه بين النحلتين في كثير من الأساليب والأفكار مما يولد الشك من أن التصوف ما هو في الحقيقة إلا وسيلة وحيلة من الشيعة لإفساد الإسلام السنن وتشويهه .

على أن التصوف بدأ بديات سليمة حيث كان الزهاد من أصحابه والتابعين وتابعيهم وهم القرون المفضلة ، ثم جاء من بعدهم من زاد في الغلو في التعبد واتخذ مسارات جديدة خرجت به عن الطريق السوي حتى وصل الأمر ببعض المتصوفة إلى قول الشرك والكفر كما هو الحال بالحلاج (١) وابن عربي (٢) وغيرهما من غلاة الصوفية .

ويفرق بعض العلماء بين الزهد والتصوف على اعتبار أن الزهد مشروع في الإسلام بخلاف التصوف فهو دخيل على الإسلام وإلى هذا يشير ابن الجوزي بقوله " إن التصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما إن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف " (٣) .

(١) هو أبو المغيث الحسين بن منصور بن محمد البيضاوي الحلاج

ولد في البيضاء بفارس سنة ٢٤٤ هـ اشتغل بالفلسفة وسجن لمدة ٨ سنوات ببغداد بسبب عقائده المنحرفة ومن ثم أعدم سنة ٣٠٩ هـ سيزكين ١٣٧/٤ - ١٣٨ .

(٢) ابن عربي هو أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي وهو الملقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر وهو غير ابن العربي المفسر المعروف ولد بمرسية ٥٦٠ هـ وتوفي سنة ٦٣٨ هـ .

شذرات الذهب ١٩٠/٥ ، الأعلام ٦٨/٨ ؛

(٣) ابن الجوزي ، تلبيس إبليس - ١٦٥ .

أما تاريخ اشتهار التصوف بهذا الاسم فيرى ابن تيمية أنه فـسـى
 نهاية المائة الثانية للهجرة ويقول : إن أول من بنى دويـسـرة
 الصوفية بعض أصحاب عبدالواحد ابن زيد من أصحاب الحسن البصري^(١)
 على أن لفظة صوفى وردت قبل هذا التاريخ لكن لعله لم يشتهر ويكون
 له اتباع مشهورون ومؤلفات إلا فى بداية القرن الثالث الهجرى .

(١) ابن تيمية ، الفتاوى - ٦/١٦ .

* الفصل الأول *

- السماع واقسامه -

المبحث الأول : تعريف السماع وأقسامه :

السماع : اسم مصدر سمع وهو ماسمعت به فشاء وتكلم به ، وكل ما انتذته الاذن من صوت حسن فهو سماع ، والسماع الغناء وقيل : السماع حس الاذن أو سماع الاذن وقيل في ذلك :

سماع الله والعلماء اني أعوذ بخير خالك يا ابن عمرو (١)

ويرد كثيرا بمعنى ما يصل الى السمع كالموسيقى والانصات اليها ، وجاء في الفارسية سماع خانه ، بمعنى بهو الذكر والانشاد ، وأهم ما يستعمل بالمعنى الاصطلاحي هو استعمال الصوفية له وهو يدل عندهم على الاستماع الى الموسيقى والغناء والانشاد لبلوغ حالة (٢) الوجد (٣) .

اما التعريف الاصطلاحي للسماع فلم اعثر على تعريف جامع وانما مجموعة من التعاريف ومن ذلك :

(١) السماع : تنبيه القلب الى معاني المسموع وتحريكه عنها طلبا وهربا وحبا وبغضا . (٤)

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٦/١٠٠ - ٢٩ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ١٢/١٨٨ - ١٨٩ .

(٣) الوجد : الحب الشديد كما تستعمل في الحزن ايضا - ابن منظور

لسان العرب ٤/٤٥٩ .

ويقول القشيري : الوجد : ما يصادف قلبك ويرد عليك بلا تعمد

وتكلف - الرسالة : ٢١٧/١ .

(٤) ابن القيم ، مدارج السالكين ، ١٠/٥١٤ .

- (٢) السماع موهبة روحية معناها قدرة الشخص على سماع أصوات لا يسمعها الناس الآخرون بحاسة السمع العادية (١) .
- (٣) يقول ذنون (٢) : السماع وارد حق يزعم القلب إلى الحق فممن أصفى إليه بحق تحقق ومن أصفى إليه بنفس تزندق (٣) .
- (٤) أما القشيري فيرى ان السماع : انتباه إلى معنى أو معانى يفتن إليها قلب الصوفى فتحدث فيه نشاطا نفسيا وعضويا وتوقظ فيفسه الدفين وتشير وجده (٤) .

يلاحظ أنى ركزت على التعاريف الصوفية أكثر من غيرها وذلك بسبب أن هذا التعبير إنما هو تعبير صوفى فى الأساس وليس له معنى عند أهل السنه إلا مجرد الاستماع : أى الإصغاء بالسمع إلى المتحدث أو الخطيب أو القارئ وهذا المعنى هو الموافق لما دل عليه الشرع من قرآن وسنه مما سيأتى بيانه .

- (١) السراج الطوسى اللمع - ٣٤٢ .
- (٢) هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الإخميمى المصرى أحد الزهاد العباد ورغم تصوفه فإنه ظل فى إطار أهل السنه واهتم بالطب والكيمياء وتوفى بالجيزه سنه ٢٤٠ أو ٢٤٦ هـ الأعلام ٨٨/٢ -
- سيزكين ١ - ١٢٠/٤ - طبقات الصوفية - ١٥ .
- (٣) السراج الطوسى اللمع - ٣٤٢ .
- (٤) إبراهيم بسيونى الإمام القشيري سيرته - ٢٢٦ .

اقسام السماع :-

ينقسم السماع إلى ثلاثة أقسام هي :-

- (١) ما يحبه الله ويرضاه وهو ما أمر الله به عباده ويشمل استماع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وما دلا عليه من الذكر والدعاء والاستغفار ونحو ذلك .
 - (٢) ما يبغضه الله ويكرهه وينهى عنه ويشمل قول الزور والمنكر واللغو أو ما يؤدى إليها .
 - (٣) المباح المأذون فيه مما ليس فيه نص من تحليل أو تحريم ولم يمدح صاحبه ولم يذم ويدخل فيه بعض الأشعار والقصائد الملتزمة واللغو الذى لا يشتمل على منكر خاصة فى الأعياد والأفراح .
- على أن هناك من قسم غير هذا التقسيم لكن فى رأينا أن هذا التقسيم هو أولها وأعدلها وهو ما ذهب إليه ابن القيم فى مدارج السالكين وسيأتى تفصيل هذه الأقسام فى المباحث التالية :

المبحث الثاني : السماع المشروع وأدلتسه :-

خلق الله الحواس في الإنسان ليستعملها فيما ينفعه في معاشه ومعاده ومن هذه الحواس السمع الذي يعرف به الإنسان ما يدور حوله ، فهو أحد وسائل الإدراك ، بل ربما هو أعظمها نلاحظ ذلك في تقديمه في آيات القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية ، وقد أمرنا الله تعالى باستعمال السمع لطاعته ومعرفة شرعه حيث جاءت الآيات الكثيرة الحاشية على الاستماع للقرآن وما فيه من هدى وأمره بالإصغاء والتدبر لما اشتملت عليه قال تعالى ﴿ وإذا قرأ القرآن فاستمعوا لــــه وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ (١) فقد حث الله المؤمنين على الاستماع والانصات عند تلاوة القرآن وهذا هو السماع الشرعي الحقيقي وإن كان العلماء قد اختلفوا في المقصود بالأمر في هذه الآية هل هو للإيجاب أو للسندب وهل المقصود من الإنصات في أثناء الصلاة حين يقرأ الإمام أو أن هذا عام في الصلاة وغيرها والآخر هو الذي أميل إليه لأنه يتوافق مع القرآن من مكانة وتقدير وما يجب له من احترام كيف لا وقد ذم الله المعرضين عنه حين قال ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ (٢) .

بينما وعد عباد الله الصالحين الفاهمين والعاملين بالقرآن بقول الله ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ (٣) .

(١) الأعراف آية (٢٠٤) .

(٢) فصلت آية (٢٦) .

(٣) الزمر آية (١٧ - ١٨) .

كما حث سبحانه الناس على استماع الهدى الذى جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال على لسان رسوله ﷺ انى آمنتم بربكم فاسمعون^(١) وكثيراً ما وردت الآيات الواصفه لحال المؤمنين عند سماعهم لما يتلى عليهم من الذكر وتأثرهم بذلك كما فى قوله جل وعلا ﷻ واذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق^(٢) فهذا هو السماع الذى شرعه الله لعباده وكان السلف يجتمعون عليه وهو الذى كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يشهده مع أصحابه وهو أصل الايمان^(٣) ، ذلك أن الله تعالى بعث محمداً عليه السلام إلى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع ما بلغه الرسول وآمن به واتبعه أفلح وفاز ومن اعرض عن ذلك شقى وذل ، وقد سمعنا وصف السامعين الذين تفيض أعينهم من الدمع أما المعارضين فهم ممن قال الله فيهم ﷻ واذا تتلى عليه آياتنا لى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقراً فبشره بعذاب اليم ﷻ^(٤) .

كما جاءت السنة النبوية حافلة بالاحاديث الشريفة الحاثه على السماع الشرعى من قرآن وسنة وكان الرسول الأعظم - صلى الله عليه وسلم - المعلم الأول والمنفذ لذلك حيث لا يرى عليه السلام إلا تالياً للذكر ومستمعا له وكان يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام ومع أصحابه يعلمهم ويستمع لقراءتهم كما جاء فى الحديث المتفق على صحته عن أبى

(١) يس ايه (٢٥) .

(٢) المائدة اية (٨٣) .

(٣) ابن تيميه مجموعة الرسائل الكبرى ٢/٢٩٥-٣٠٠ الاستقامة ١/٢٢٢-٢٢٩ .

(٤) لقمان آيه (٧) .

موسى الأشعرى - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال له : " لقد أوتيت مزمارة من مزامير آل داود " وزاد مسلم "لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة " (١) .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء " الحديث (٢) .

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " اقرأ على القرآن فقلت يا رسول الله اقرأ عليــــك وعليك أنزل فقال : إني أحب أن أسمع من غيرى " الحديث متفق عليه (٣) .

وكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ أبو موسى وهم يستمعون .

وسيرة المصطفى عليه السلام وأصحابه الكرام وتابعيهم والقرون المفضلة وأئمة الهدى كلها تنطق بما كانوا عليه فى هذا المجال حيث مدرستهم الأولى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمساجد فى كل صقع يتدارسون القرآن والسنة الشريفة فكانوا خير المستمعين وخير المحدثين ولسان حالهم يقول : كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه فى الدين .

(١) صحيح البخارى ١٩٢٥/٤ - صحيح مسلم ٣١٧/١ .

(٢) صحيح البخارى : ٢٣٥٣/٥ — باب فضل ذكر الله .

(٣) صحيح البخارى : ١٦٧٣/٤ - صحيح مسلم ٣٢٠/١ .

المبحث الثالث : حكم الغناء (١) :

وهذا هو القسم الثانى من أقسام السماع وهو ما يبغضه الله ويكرهه وينهى عنه وهذا أكثر ما يتمثل فى الغناء واللهو والموسيقى ذلك أن النفوس البشرية مفعورة على حب الاصوات والصورة الحسنه إلا أن الشريعة الاسلاميه جاءت بتوجيه هذه الفطره الوجهه السليمه وبينت الطريق السليم وحثت عليه فيما حذرت عن الطريق السيئ ، لأن الإنسان تتنازع دواعى الهوى والشيطان ونوازع الايمان وخوف الله تعالى فمتى قوى ايمانه تمكن من السيطرة على غرائزه وأهوائه ووجهها إلى المسار الصحيح أما فى حالة ضعف الايمان فإن دواعى الهوى وجنود الشيطان تقوده إلى الهاويه وهذا يحصل فى كثير من الأمور ومنها سماع الغناء والملاهى التى دخل الشيطان فيها على المتصوفه على اعتبار أنها قربة لله نلاحظ ذلك فى بدايات السماع الصوفى حيث كان اشعاراً وقصائد فى مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - والتخويف من المعاد ومن الركون إلى الدنيا ثم تطور الأمر شيئاً فشيئاً فأدخلوا الموسيقى . . . إلى أن وصلوا إلى ما وصلوا إليه من منكر حسبه عباده ، وهناك قسم آخر وهو المستمع للغناء والملاهى من غير المتصوفه فهذا

(١) الغناء بالكسر والمد هو رفع الصوت مطلقاً ، ويطلق على الترنم وعلى الحداء وعلى مجرد الإنشاد ، كما يطلق على التتمطيط والتلحين بالأشعار على النغمات الموسيقية ، وإذا أطلق فالمراد به المعنى الأخير وهو التلحين بالأشعار على النغمات / انظر الأجرى

قد زينت له نفسه وشيطانه هذا العمل باعتباره ترفيه عن النفس وهؤلاء منهم من يعتقد حرمة ذلك ومنهم من يعتقد حله وكلا الحالين أهون من المتصوفة الذين يعتبرون ذلك ديناً يتقربون به إلى الله .

وقد أشار ابن تيمية إلى أن مذهب الأئمة الأربعة (١) ترى أن آلات اللهو كلها حرام واستدل بما ثبت في الصحيح عن أبي مالك الأشعري أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر أنه سيكون من أمته من يستحل الحر والحريير والخمر والمعارف وذكر أنهم يمسخون خنازير (٢) .

الأدلة على تحريم الغناء :-

أولاً : من القرآن الكريم :-

(١) قوله تعالى ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون ﴾ (١) قال غير واحد من السلف السمود هو الغناء أسمد لنا أي غن لنا ، حيث ذم الأعراض عما يجب الاستماع إليه بالاشتغال بالغناء (٤) .

وقال القرطبي : السمود اللهو ، والسامد : اللاهى ، يقال للقينه أسمدينا أي ألهينا بالغناء (٥) .

(١) المقصود بالأئمة الأربعة - أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد .

(٢) صحيح البخارى ٢١٢٣/٥ .

(٣) النجم الآيات (٥٩ - ٦٠ - ٦١) .

(٤) ابن تيمية الاستقامة ٢٢٦/١ .

(٥) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ١٢٣/١٧ .

(٢) قال تعالى ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ﴾^(١) أقسم عبد الله بن مسعود ثلاثاً أنَّ المقصود من ذلك الغناء . كما روى هذا عن جمع من الصحابة^٢ والتابعين^(٢) .

(٣) قوله تعالى ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ﴾ الآية^(٣) قال مجاهد قال ابن عباس : الصوت الغناء والمزامير ، وقال الضحاك صوت المزمار^(٤) .

فهذه الآيات الثلاث تدل على تحريم الغناء واللهو والتحذير منه على أنَّ هناك آيات أخرى لها نفس الدلالة وإنما اقتصرنا على هذه الآيات لأن المقصود بيان وجود النهي من القرآن عن الاستماع المحرم وقد حصل بحمد لله بهذه الآيات ، والا فالْمُغْنَى مخالف للنص الصريح الوارد في سورة لقمان ﴿ وأغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾^(٥) .

ثانياً : الأدلة من السنة :-

وكما أنَّ القرآن تضمن تحريم الغناء والنهي عنه فإن السنة النبوية المطهرة جاءت حافلة بالأحاديث الصريحة المحرمة للغناء منها

(١) لقمان آيه (٦) .

(٢) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٥١/١٤ .

(٣) الاسراء آيه (٦٤) .

(٤) القرطبي الجامع لإحكام القرآن ٢٨٨/١٠ .

(٥) لقمان آيه (١٩) .

الحديث الذى سبق الإشارة اليه - وهو حديث أبي مالك الأشعرى - ومنها:

١ - ما رواه عبدالرحمن بن عوف عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

أنه قال : " إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نعمته

وصوت عند مصيبه " (١) فانظر الى وصف الرسول لهذين الصوتيين

حيث وصفهما بأقبح الأوصاف وهما الحمق والفجور .

وعن أنس رضي الله عنه - قال قال رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - " صوتان ملعونان صوت ويل عند مصيبه وصوت مزمار عند

نعمته " (١) وهذا الحديث فيه زيادة إيضاح وتفسير للحديث السابق

حيث بين نوع الصوت المذموم وأضاف صفة أخرى منفرة وهي اللعن

الذى هو الطرد والإبعاد عن رحمه الله قال ابن تيميه هذا الحديث

من أجود ما يحتج به على تحريم الغناء (٢) .

٢ - وعن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

أنه قال : " إن الله عز وجل حرم المغنية وبيعها وثمنها وتعليمها

والاستماع إليها ثم قرأ (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) (٣) .

٣ - وفي الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال " كل لهو

يلهو به الرجل فهو باطل الارميه بقوسه وتادييه فرسه وملاعبتسه

(١) الحديث بروايته في تحفة الأخوذى على سنن الترمذى ٢٣٦/٢ .

(٢) ابن تيميه الاستقامة ٢٩٢/١ .

(٣) سنن الترمذى ٢٨١/٥ .

امراته فانهم عن الحق " (١)

قال ابن تيميه والمعروف عند أئمة السلف من الصحابة مثل ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وغيرهم وعند أئمة التابعين ذم الغناء وإنكاره وكذلك من بعدهم من أئمة الإسلام في القرون الثلاثة المفضلة حتى ذكر زكريا بن يحيى الساجي أنهم متفقون على كراهيته الأرجلان هما ابراهيم بن سعد (٢) من أهل المدينة وعبيد الله بن الحسن العنبري (٣) من أهل البصرة (٤) ويرد ابن تيميه على من ادعى أن أهل المدينة يترخصون في الغناء بقوله : أنه لم يقل أحد منهم أنه مستحب في الدين ومختار في الشرع بل كان فاعل ذلك منهم يرى مع ذلك كراهيته وإن تركه أفضل أو يرى أنه من الذنوب (٥) .

كما أورد مثل هذا الرأي الأستاذ محمد إدريس في كتاب تحريم النسيب والشطرنج والملاهي وقال إنه تبين له بعد الدراسة أنه لم يصح أثر واحد يدل على إجماع أهل المدينة على ذلك .

(١) سنن ابو داود ٣٥١/١ .

(٢) ابراهيم بن سعد بن ابراهيم الزهري ولد سنة ١٠٨هـ قال عنه

أحمد ثقه وأحاديثه مستقيمة قال عنه الذهبي إنه كان يجيـد

الغناء - تهذيب التهذيب ١٢١/١ .

(٣) عبيد الله بن الحسن بن حصين العنبري من أهل البصرة ولد سنة

١٠٥هـ قال عنه النسائي فقيه بصرى ثقه / تهذيب التهذيب ٧/٧ - ٨ .

(٤) الاستقامة ١ ج ١ ص ٢٧٢ .

(٥) الاستقامة ١ ج ١ ص ٢٣٧ .

ثالثا : الأدلة من الآثار الواردة عن الصحابة وأئمة الهدى :-

من الآثار الدالة على ذلك مايلى :

- (١) قول ابن مسعود - رضى الله عنه - الغناء ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل ، وقول الفضيل (١) بن عياض الغناء رقية الزنا (٢)
- (٢) نقل أن سليمان بن عبد الملك أنه سمع غناء من الليل فأرسل إليهم فى الصباح فجاء بهم فقال : إن الفرس ليصهل فتستسودق (٣) له الرمكة وإن الفحل ليهد فتضيع (٤) له الناقة وإن التيس لينب فتستحرم (٥) له العنز وإن الرجل ليتغنى فتشتاق له المرأة (٦)

وهناك آثار كبيرة فى هذا المجال نتركها اختصارا .

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي شيخ الحرم المكي من أكابر العباد ولد فى سمرقند سنة ١٠٥هـ وكان ثقة فــــى الحديث وأخذ منه الشافعى توفى فى مكة سنة ١٨٧ هـ انظر الأعلام

• ٣٦٠/٥

(٢) الأثرين نقلًا عن تلبيس إبليس لابن الجوزى ٢٣٥ •

(٣) الرمكة الفرس التى تتخذ للنسل واستودقت دنت للفحل •

(٤) ضبوع الناقة استعدادها لتلقيح الجمل لها •

(٥) تستحرم العنز تريد الفحل •

(٦) ابن القيم اغاثه الرفان ٤٠٩/١ •

رابعاً: الأدلة : من العقل على تحريم الغناء :-

يقول ابن الجوزى ومن الأدلة العقلية على تحريم الغناء أنه يخرج الإنسان عن الاعتدال ويغير العقل ذلك أن الإنسان إذا طرب فعل ما يستقبحه في حال صحته من غيره ومن تحريك رأسه وتصفيق يديه ودق الأرض برجلين إلى غير ذلك مما يفعله أصحاب العقول السخيفة وهو يفعل فعل الخمر في تغطيه العقل (١) .

وقد أشار ابن تيمية إلى هذا المعنى حين قال : إن تأثير الأصوات في النفوس من أعظم التأثير يفتنيها ويفذيها حتى قيل إنه لذلك سمي غناء لأنه يغني النفس وهو يفعل في النفوس أعظم من حميا الكووس كما إن المغنى مخالف للنص الصريح في القرآن الأمر بخفض الصوت كما قال تعالى ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ (٢) على أن ابن تيمية فسر ما يعنى بالغذاء الذي سبق الإشارة إليه حين قال : ولكن الأغذية والمطاعم منها طيب ومنها خبيث وليس كل ما استلذه الإنسان يكون طيباً ذلك أن سماع الألحان يتفذى بها أهل الجهل أكثر مما يتفذى بها أهل المعرفة كما يتفذى بها الأطفال والبهائم والنساء بخلاف السماع الشرعى فإنه غذاء طيب لأهل المعرفة (٣) .

(١) تلبيس ابليس ص ٢٣٦ .

(٢) الاستقامة ج ١ ص ٣٠٩ - ٣٧٩ .

(٣) ابن تيمية الاستقامة ٤٠٨/١ .

أما أقوال أئمة المذهب الأربعة المشهورة فنلخص ما نقله الشيخ أبو بكر الجزائري عنهم لأنى رأيت أنه من أحسن ما جمع فى هذا الباب ولأن تفصيل قول كل مذهب سيجرنا إلى تفصيلات ليس هذا موضعها والخلاصه هى :

(١) يرى الإمام أبو حنيفة أن الغناء من الذنوب التى يجب تركها والابتعاد عنها والتوبة منها فوراً ، أما أصحابه فقد صرحوا بحرمة الغناء وسائر الملاهى وقالوا السماع فسق والتلذذ به كفر .

(٢) سئل الإمام مالك بن أنس عن الغناء فقال : قال تعالى ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ أفحق هو ؟ ، كما سئل عما يترخص به بعض أهل المدينة فى الغناء فقال : إنما يفعله عندنا الفساق .

(٣) أما الإمام الشافعى فقال فى كتابه أدب القضاة : إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ، وسئل عن الرجل تكون له القينه فيجمع أصحابه لتسميعهم الغناء فقال : هذه دياشه .

(٤) أما إمام السنه أحمد بن حنبل فمن المنصوص عنده كسر آلات اللهى والطرب إذا رويت مكشوفه وأمكن كسرها (١) وقد خالف فى ذلك

(١) أبو بكر الجزائري الأعلام باب العزف والغناء حرام/ ٢٩-٣٢ .

الإمام ابن حزم الظاهري الذي قال بإباحة الغناء استدلالاً بحديث
 الجاريتين اللتين غنيتا في بيت عائشة في يوم عيد بحضور الرسول
 - صلى الله عليه وسلم - وقال ابن حزم : إنه لا يصح في النهي عن
 الغناء شيء وكل ما فيه موضوع وهذه من زلات ابن حزم التي افترس
 بها كثير من الناس في عصرنا الحاضر واتخذوها حجة في إباحة الأغاني
 الخليعة والمعارف (١) وقد قال الهيثمي إن ابن حزم حمله تعصبه
 لمذهبه الباطل في إباحة الاوتار إلى أن حكم بوضع كل الأحاديث
 الواردة في الملاحى (٢) .

وقد رد ابن القيم - رحمه الله - على ما يراه ابن حزم بقوله : ولم
 يصنع من قدح في صحة هذا الحديث - يعني حديث ليكونن من أمتي قوم
 يستحلون الحر والحرير والخمر والمعارف (٣) شيئاً كابن حزم نصراً
 لمذهبه الباطل في إباحة الملاحى وزعم أنه منقطع لأن البخاري لم
 يصل سنده به ، وجوابه من وجوه :

(١) أن البخاري قد لقي هشام بن عمار وسمع منه فإذا قال : قال

هشام ، فهو بمنزلة قوله : عن هشام .

(٢) أنه لو لم يسمع منه فهو لم يستجر الجزم به عنه إلا وقد صح

عنه أنه حدث به فالبخاري أبعد خلق الله عن التدليس .

(١) الآجسرى تحريم النرد والشطرنج والملاحى - ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٢) الهيثمي الزواجر عن اقتراف الكبائر ١٦٩/٢ - ١٧٠ .

(٣) سبق ذكر الحديث وتخريجه في أول المبحث .

(٣) أنه أدخله في كتابه المسمى بالصحيح محتجا به فلولا صحته

عنده لما فعل ذلك .

(٤) أنه علقه بصيغه الجزم دون صيغه التمرير .

(٥) اننا لو ضربنا عن هذا صفحا فالحديث متكمل صحيح ~~غيره~~ غيره (١) .

كما أشار ابن القيم إلى أن للسمع الشيطاني المضاد للسمع الرحمانى

بضعه عشر اسما فى الشرع ذكر منها : اللهو - اللغو - الباطل -

الزور - المكاء - التمديه - رقية الزنا - قرآن الشيطان - منبت

النفاق فى القلب - الصوت الأحمق - الصوت الفاجر - صوت الشيطان -

مزمور الشيطان - السمود .

وقد استدل لكل اسم مما ذكر بدليل من الشرع (٢) .

من هذا يتضح لكل ذى لب صراحة الادلة الشرعية فى تحريم الفناء

وأدوات اللهو وإنه إنما هو وسيلة شيطانية لإضلال عباد الله وإشغالهم

عما هو أنفع لهم فى دينهم ودنياهم من تلاوة القرآن والسنة وسيارة

السلف الصالح أو الاستماع إليها ، وكم عانى الجار من جاره وماحب

البيت من أسرته والمملون فى مساجدهم وأهل السوق فى متاجرهم من هذه

الأموات المنكرة من المغنين والمغنيات حتى آل الأمر ببعض الشباب إلى

الاستماع إلى الموسيقى والأغاني الغربية الفاجرة الداعية إلى الزنا

(١) إعاشة اللفان ٢١٩/١ - ٢٢٠ .

(٢) إعاشة اللفان ٢٠٣/١ .

واللواط والسكر والخروج عن التقاليد والعادات المحموده .
ويكفى دلالة على فساد أصحاب هذا الاتجاه أن المنتسبين إليه فـى
الغالب من مواخير القوم وفساقهم ومن ساقطات المجتمعات وأن أصحاب
النفوس العالية والعلماء وعلية القوم يبتعدون عن ذلك وإذا
وأرسوه واستمعوه ففى السر لان الناس بفطرتهم يعيبون على مثل هؤلاء
استماعهم أو ممارستهم لمثل هذا الجهل (١) .
ولو تتبعنا ما يسمى بدور الفن لوجدناها بيوتاً للخناء والفجـور،
ولكن لما ضعف الإيمان وانحرفت مفاهيم كثير من الناس صار لهذه الفئة
المولة والجولة واستقبل الفنان أو الفنانة استقبال الأبطال والقادة
ومنحوا أعلى الأوسمة وخصت لهم الصفحات فى المجلات والجرائد لمتابعة
أخبارهم بينما العلماء وأصحاب الاكتشافات والمصلحين لا يعرف عنهم وكأنهم
لا يهتمون المجتمعات ويموت الواحد منهم ولا يدرى عنه إلا بعد حين وفـى
زاوية صغيرة فى جريدة أو مجلة غير مشهورة فلا حول ولا قوة إلا بالله
العلى العظيم) .

(١) يتداول الناس قصه تعبر عن نظرة العامة لأصحاب الفن خلاصتها
آن فنانا وفنانة عندما أراد تسجيل جوازيهما عند عبور حدود
إحدى الدول العربيه سألهما المختص عن مهنتهما فأجابا بأنهما
فنانان فقال هذا المختص للموظف عنده سجل جرار وقحبة ويكفى
هذا الوصف الشنيع ذمًا لمن يسلك هذا الطريق .

* المبحث الرابع *

القسم الثالث من أقسام السماع : المباح من الغناء والقصائد

والأشعار ونحوهما :-

من المعلوم أن الشريعة الإسلامية شاملة وعامة لجميع أفراد المجتمع وقد اشتملت على كل مافيه الخير والصلاح وجاءت بالعلاج الناجح لأمراض المجتمع ذلك أن المشرع هو الذى خلق هذه النفوس وهو أعلم بما يصلحها ، ولو أمعنا النظر فى هذا الإنسان وتركيبه وأمزجته لرأينا العجب العجاب * وفى أنفسكم أفلا تبصرون * (١) فقد خلق الله هذه النفس مؤثرة ومتأثرة لكن هذا التأثير أو التأثر يختلف من نفس إلى نفس ومن طور إلى طور ومن جنس إلى جنس وإذا أردنا أن نختصر المسافة للتدرج إلى بغيتنا نقول : إنه فى بعض أطوار النفس البشرية تكون هذه النفس عاطفيه تتأثر بما تسمع أو ترى وهذا فى مرحلة الطفولة أما من ناحية الجنس فإن الله خلق المراه وميزها بالرقعة والعاطفه وسرعة التأثر لذلك نراها أسرع تأثرا من الرجل وبما أن الله هو الخالق لهذه النفوس وهو أعلم بما يصلحها لذلك نرى أن من تمام نعمة الله على عباده أن اشتملت الشريعة على ما يطيب هذه النفوس ويتداركها من الوقوع فى شباك الشيطان عندما ينادى عليها

بصوته ، نلمس هذا فى التوجيه النبوى الشريف كما جاء فى حديث عائشة حين دخل عليها أبو بكر - رضى الله عنه - فى أيام العيد وعندها جاريتان من الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعث فقال أبو بكر أبزمور الشيطان فى بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان النبى عليه السلام معرضا عنهما مقبلا إلى الحائط فقال : دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيد وهذا عيدنا أهل الاسلام ، وفى روايه ليعلم المشركون أن فى ديننا فسحا " (١)

وقد أباح الشرع بعض الأناشيد والضرب بالدفوف فى الأعياد والأعراس وقدم الغائب ، كما جاءت الرخصة فى أناشيد الغزاة والحجاج التى يستعينون بها على قطع الطريق وكذلك حادى (٢) الابل الذى ينشد لها فتنشط فى المسير .

ومن الأدلة على إباحة هذا النوع من اللهو حديث عائشة السابق عن غناء الجاريتين فى بيتها .

ومنها ما روته معودة قالت دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صبيحة بنى بلى فجعلت جوهرات يضربن بدف لهن ويندبن من قتل من أبائى يوم بدر إلى أن قالت : احداهن وفينا نبى يعلم ما فى غد فقال

(١) صحيح البخارى : ٣٢٤/١ - صحيح مسلم ٢١/٣ .

(٢) الحداء بضم الحاء وكسر ها : هو الغناء للإبل حتى تسرع فى السير .

عليه السلام : دعى هذا وقولى الذى كنت تقولين " (١)

ما روى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أن امرأة جاءتته فقالت
انى نذرت إن رجعت من سفرى سالما أن أضرب على رأسك بالدف فقال
النبى - صلى الله عليه وسلم - أوف بندرك (٢) .

وعن البراء بن عازب قال : رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
يوم الأحزاب ينقل التراب وهو يقول :

| | |
|-------------------------|---------------------------|
| لولا أنت ما اهتدينا | ولا تصدقنا ولا مليننا |
| فأنزل السكينة علينا | وشبت الأقدام إن لاقينا |
| إن الأولى قد بغوا علينا | إذا أرادوا فتنة أبينا (٣) |

وعن سلمة بن الأكوع قال خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع ألا تسمعنا من هنياتك
فنزل يحدو بالقوم يقول :

| | |
|---------------------------|------------------------|
| اللهم لولا أنت ما اهتدينا | ولا تصدقنا ولا مليننا |
| فاغفر فداً لك ما أقتفيننا | وشبت الأقدام إن لاقينا |
| والقين سكينة علينا | إنا إذا صيح بنا أتينا |

وبالصباح عولوا علينا .

(١) البخارى ١٩٧٧/٥ .

(٢) الترمذى مع التحفة ٣٢٦/٤ .

(٣) صحيح البخارى ١٠٤٤/٣ .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم من هذا السائق ؟ قالوا

عامر ابن الأكوع فقال : يرحمه الله " الحديث (١)

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فى سفر وكان عبد الله بن رواحة "جيد الحدا" وكان مع الرجال وأنجشه مع النساء فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن رواحة " حرك بالقوم فاندفع يرتجز فتبعه أنجشه فأعنت الإبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأنجشه : (رويدك رفقا بالقوارير) (٢) .

- قال عمرو بن الشريد أردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أمعك من شعر أميه قلت : نعم فأنشدته بيتا فقال : " هيه " فأنشدته بيتا فقال " هيه " حتى أنشدته مائة قافية (٣) .

كما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة كعب بن زهير التميمي مطلعها : بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول الخ . ولم يزل المسلمون يرددون القصائد فيما مدح الله به ورسوله وكتابه وهجى به أعسداؤه ويسمعونها ويدرسونها وهى التى سمعها الرسول وأصحابه وأشابه عليها وحرّض حسان عليها (٤) .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مال ذات ليلة بطريق مكة

(١) صحيح البخاري : ٢٢٣٧/٥ .

(٢) فتح الباري ج: ١٠ ص: ٥٣٨ ، سنن الدارمي ج: ٢ ص: ٢٦٦ .

(٣) فتح الباري ج: ١٠/٥٤٠ وذكر أن البخاري أخرجه فى الادب المفرد .

(٤) مجموع الرسائل والمسائل ج ٢ ص ٣١٨ .

إلى حاد مع قوم فسلم عليهم وقال إن حادينا سام فسمعنا حاديكم
فملت اليكم الحديث (١) .

وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها - أنها زفت امرأة من الأنصار
فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - يا عائشة ما كان معكم من لهُو
فإن الانصار يعجبهم اللهُو " (٢)

وروى البخارى عن أبى هريرة قال : بينما الحبشة يلعبون عند
النبى - صلى الله عليه وسلم - بحرابهم فى المسجد دخل عمر فأهوى
إلى الحصباء فحصبهم بها فقال رسول - الله صلى الله عليه وسلم -
دعهم يا عمر " (٣)

وروى عن عمر بن الخطاب انه قال : الغناء زاد الراكب (٤) .
ويبين ابن تيمية أن الغناء الذى سبق الإشارة إليه إنما أبيض
برخصة منه - صلى الله عليه وسلم - وإلا فالاصل المنع واستدل بإقرار
الرسول لأبى بكر عندما أطلق على الغناء مزمور الشيطان وقوله لعمر
لو رآك الشيطان سالكا فجا لسلك فجا غير فحك لما خافت منه النساء
فيما كن يفعلنه بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم (٥) .

(١) إغاثه اللفهان ٢٢٣/١ (لم أجد هذا الحديث) .

(٢) صحيح البخارى ١٩٨٠/٥

(٣) صحيح البخارى ١٠٦٣/٢

(٤) ابن قدامة المغنى والشرح الكبير ٤٢/١٢

(٥) ابن تيمية الاستقامة ٢٨٧/١ الحديث فى صحيح البخارى ١١٩٩/٢

ومن خلال ما سبق نستطيع القول ان الشرع عندما أباح ما أباح ممن الحدا، والشعر ونحوها جعل لذلك حدودا وشروطا تبطل شبه الذي— يمتطادون فى الماء العكر حيث يحاولون أن يجعلوا من تلك الحالات المخصوصة المباحة دليلا على إباحة الغناء واللهو أيا كان. لذلك لابد من الإشارة إلى أنه يستنبط من الأحاديث والآثار العامة الواردة فى هذا المجال الشروط التالية اللازمة لإباحة ما ورد الشرع بإباحته وهى :

(١) أن يكون المغنى وضارب الدف فى الأعراس من النساء لأن المقصود فى الدرجة الأولى فرحة النساء ثم إن المشهور أن الغناء صنعة للنساء لذلك كان السلف يسمون المغنى من الرجال مخنثا لتشبهه فى النساء فيما يخصهن .

(٢) أن يكون الضرب بالدف أو الغربال كما جاءت به الأحاديث أمّا الأدوات الموسيقية الأخرى خاصة المهيجة والمثيرة فلا تصح .

(٣) ألا يسمع الرجال صوت النساء لأنه عوره ولا يحصل اختلاط بين الجنسين .

(٤) ألا يكون الشعر أو النشيد فيه منكرا وإشارة للفتنة أو تخذيل أو يشغل عن عبادة .

على أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنما رخص فيما رخص به من اللهو ليبين يسر الإسلام واتساع نظره وإنه إنما حرم الغناء واللهو بسبب ما يؤدى إليه من الفتن كالتشيب بالنساء والمردان وفى هذا

إشارة للشهوة وتعرض لأغراض الناس والتي بدورها تسبب الفتن بين
الأسر والقبائل كما يتضمن ذلك أظهاراً للباطل في صورة الحق والعكس
وذلك في المدح الكاذب كما قد يتطور الأمر الى قول الزور والكفر
والشرك فيما يرد على السنه المغنين والشعراء من ألفاظ غير شرعيه^١
ولعل آية الشعراء أكبر دليل على ذلك (والشعراء ينبتهم الفساون
ألم ترأنهم في كل واد يهيمنون وأنهم يقولون ما لا يفعلون) .

ويقول الاستاذ - محمد ادريس - أما الغناء واللهو من النساء والمخنثين
وأشباههم ، وما يطلق عليه في زماننا اسم الفن الغنائي فهذا لا يباح
على الإطلاق في عيد ولا عرس ولا في غير ذلك من الأوقات لأنه صوت أحمرق
فاجر ملعون في الدنيا والآخرة لانه قرين الخمر والنباحه والزنا
والخلعه " (١)

بقيت هنالك نقطة قد تشكل على البعض وهي حكم الشعر هل هو حكم الغناء
في التحريم ام لا ؟

يجيب ابن تيميه عن هذا التساؤل وخلاصة ما قاله ذلك هو : ان موضوع
الشعر يختلف عن موضوع الغناء فالشعر كما قال الشافعي كلام حسن فحسنه
كحسن الكلام وقبيحه كقبيحه ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله

(١) محمد ادريس هو محقق كتاب تحريم النرد والشطرنج والملاهي

للأجري وقد جاء هذا الكلام في ص ٢٨٣ من هذا الكتاب .

عليه وسلم انه قال : " ان من الشعر لحكمة " (١) وقال عليه السلام
 "جاهدوا المشركين بايديكم والسنتكم واموالكم" (٢) وكان ينصب لحسان
 منبرا لينشد الشعر الذى يهجو به المشركين وقال : اللهم ائده بروح
 القدس " (٣) .

وقال : ان روح القدس معك مادمت تنافح عن نبيه " . (٤)

وسمع قصيده كعب بن زهير : بانت سعاد ... الخ .

اما قوله عليه السلام " لا يمتلىء جوف احدكم قيحا حتى يرييه خيـر
 من ان يمتلىء شعرا " (٥) فهذا ذم للشعر الذى لم يستعمل بما يوجب
 الايمان والعمل الصالح وذكر الله فهو لم يذم الشعر مطلقا . (٦)

كما يدخل في ذلك حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم - ان الشيطان
 قال : يارب اجعل لي قرآنا قال قرآنك الشعر قال اجعل لي مؤذنا قال
 مؤذنك المزمار (٧) .

اما اية الشعراء : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون الآية ﴾ فقد جاء
 في الحديث ان حسانا وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة جاءوا الى

(١) صحيح البخارى ٢٢٧٦/٥، الترمذى ٢٨٨/١٠ .

(٢) سنن ابي داود ١٦/٣ .

(٣) صحيح البخارى ٢٢٧٩/٥ .

(٤) صحيح مسلم ٣٠٣/٢ .

(٥) صحيح البخارى ٢٢٧٩/٥ .

(٦) الاستقامة لابن تيمية ٣٧٦/١ .

(٧) السيوطي ، الجامع الكبير ٦٠٢/١ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكون وقالوا يا نبي الله ﷺ
 أنزل هذه الآية وهو تعالى يعلم أنا شعراء فقال ^{أقروا ما بعد} * إلا الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات * أنتم * وانتصروا من بعد ما ظلموا * أنتم
 وقال عليه السلام " انتصروا ولا تقولوا إلا حقاً ولا تذكروا الأبياء
 والأمهات " فقال حسان لأبي سفيان
 هجوت محمداً ^{أفأ} جبت عنه *** وعند الله في ذاك الجزاء

وقال كعب بن رسل الله أنه نزل في الشعر ما قد علمت فكيف ترى فيه ؟
 فقال صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه
 والذي نفسى بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل الخ (١) .

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن الشعر المنهى عنه هو المذموم
 وهو ما يؤدي إلى باطل أو مفسدة لأنه تواترت الأخبار عن سماع رسول
 الله وصحابته والمسلمين إلى يومنا هذا للشعر والأناشيد الداعية
 للأخلاق الفاضلة وشعر الحكم وغيرها مما أسلفنا الإشارة إليه قال
 صاحب المغنى : وليس في إباحة الشعر خلاف وقد قاله الصحابة والتابعون
 والحاجه تدعو إليه لمعرفة اللغة العربية والاستشهاد في التفسير
 وتعريف معاني كلام الله وكلام رسوله ويستدل به أيضا على النسب
 والتاريخ وأيام العرب ويقال الشعر ديوان العرب الخ (٢) .

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٣ ص ١٥٣ .

(٢) المغنى والشرح الكبير ج ١٢ ص ٤٤ .

* الفصل الثاني *

- السماع الصوفي -

المبحث الأول : نشأة السماع وتطوره عند الصوفية :-

سبقنا الإشارة إلى بدايات السماع وإنها كانت عبارة عن قصائد وأشعار في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقرآن الكريم ثم لما توسعت الدولة الإسلامية واتجه الناس إلى الدنيا أخذ الزهاد في التحذير من الركون إليها والتخويف من يوم الوعيد ولهذا يشير ابن تيمية بقوله : فإن أمل سماع القصائد كان تلحيناً بأشهاد قصائد مرققة للقلوب تحرك المحبة والشوق أو الخوف والخشية أو الحزن والأسف .. وكانوا يشترطون أن يكون المجتمعون لسماعها من أهل الطريق المرئدين لوجه الله والدار الآخرة وأن يكون الشعر المنشد غيــــــــــــــــر متضمن لما يكره سماعه في الشريعة وربما ضموا إليه آله تقوي الصوت وهو الضرب بالقضيب وهو التعبير (١) . فخلق من بعدهم من صار يجمع عليه أخطا من الناس ويرون أن اجتماعهم لذلك شبكة تصطاد النفوس إلى التوبة والوصول إلى طريق أهل الإرادة .

وأحدث بعد ذلك الاستماع من المخانيث (٢) المعروفين بالغناء لاهل

(١) التعبير هو الضرب بالقضيب على جلد من الجلود .

(٢) وصف يطلق على المغنين من الرجال لانهم تشبهوا بالنساء .

الفسوق والزنا وربما استمعوا من الصبيان أو من النسوان المـسـلـحـة
 .. وقد يجمعون فى السماع أنواع الفساق والفجار وكثيرا ما يحضرون
 فيه المردان وقد يكون ذلك من اكبر مقاصد السماع وربما البسوهـم
 الثياب المصبغة الحسنه وأرقصوهم فى طابق الرقص والدوران وجعلوا
 مشاهدتهم ومعانقتهم مطلوبا لمن يحضر من الأعيان وإذا غلبهـم
 الشيطان رفعوا الأصوات التى يبغضها الرحمن وزادوا فى الابتداع فى
 إنشاد القصائد فكثيرا ما ينشدون أشعار الفساق والفجار والكفار
 وزادوا فى الآلات التى تستثار بها الأصوات حتى عظمت به الفتنة
 وربما فيه المغير وهم فيه الكبير وأخذوا ذلك دينا وأعتاضوا به
 عن القرآن والصلوات (١) وما أشار إليه ابن تيمية هو اختصار لتدرج
 كبير فى فتنه السماع عند الصوفية علما بأن بدايات السماع كانت
 مشروعه وغير مستغربة لأن الزهاد الذين يعتبرهم البعض بدايات
 للصوفية كانوا يرددون الأناشيد والأغاني والابيات الشعرية وأستمـرت
 هذه الصيغة إلى يومنا الحاضر بين المسلمين الاتقياء أما الصوفية
 ومن سار على نهجهم فإنهم طوّروها إلى ما سبقت الإشارة إليه .
 وبهذا البسوا على الناس فى دعواهم شرعية الوصول إلى الله عن طريق
 السماع واعتباره عبادة وبذلك أضلوا الناس وشوهوا صورة الإسلام وقد

(١) الاستقامة ج ١ ص ٣٠٥ - ٣٠٧ .

حكى ابن تيميه قصة تجسد هذا التشويه ومضمونها أن بعض ملوك فارس قال لشيخ رآه يجمع الناس على مثل هذا الاجتماع يا شيخ إن كان هذا هو الطريق إلى الجنة فأين طريق النار ؟ (١)

وبمثل هذا العبارات يرد علينا كثير من النصارى الضالين حين نريد دعوتهم إلى الاسلام فيقولون إذا كان الاسلام هو ما نراه من تمسح بالقبور وذبح للأولياء وسؤالهم الشفاء والرزق فما الفرق بين الاسلام والنصرانية ومع الأسف الشديد فإن نشاطهم يكاد يغطى جميع المعمورة ولهم نشاط قوى فى الجاليات الاسلاميه بينما أهل السنه والجماعه قابعون فى ديارهم وليس لهم ذلك النشاط / إلا ما رحم ربى وقليل ما هم / يسر الله للمسلمين من ينشر عقيدتهم الصحيحه ويدعو الناس بأفعاله وأقواله كما كان السلف الصالح وأبطل كيد الضالين انه ولى ذلك والقادر عليه .

المبحث الثاني : شبه الصولية وأدلتهم على السماع :-

من المسلم به أن المسلم لا يحلل شيئاً ولا يحرمه إلا إذا كان لديه دليل شرعى يستند إليه لأنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا حلال إلا ما أحله الله إلا أن بعض الناس فى سبيل تبرير موقفه أو رأيه فى مسألة ما تجده يتعسف فى استخراج الأدلة وربما يأخذ بقول مرجوح ، والصوفية من هذا النوع فإنهم لما لم يجدوا دليلاً شرعياً صريحاً يستدلون به على عقائدهم أخذوا يتكلفون توجيه الآيات والاحاديث لتوافق هواهم فقيض الله من يرد شبههم ويبين خطأهم من غير تكلف ولا تحيز ذلكم هو شيخ الإسلام ابن تيمية وسنستعرض فى هذا الفصل أدلة الصوفية التي يحتجون بها على شرعية السماع وسنؤجل رد ابن تيمية عليهم إلى الفصل الأخير .

هذا وقد استدل الصوفية على ما يدعون من مشروعية السماع بأدلة من الكتاب ومن السنة ومن العقل على النحو التالى :

أولاً : الأدلة من القرآن :-

(١) كان من ضمن ما استدلوا به قوله تعالى ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ (١) ووجه استدلالهم أن اللام فى (القول) تقتضى التعميم والاستغراق لذلك فهو دليل على أنه مدحهم

باتتباع الأحسن بعد استماعهم لكل قول .

- ٢ - كما استدلوا بما جاء في سورة الروم حيث وصف الله أهل الجنة بقوله ﴿ فهم في روضة يحبرون ﴾ (١) وقالوا إنه جاء في تفسيرها أنه السماع من الحور العين بأصوات شهية فكيف يكون جراماً وهو في الجنة .
- ٣ - الدليل الثالث قوله تعالى ﴿ يزيد في الخلق ما يشاء ﴾ (٢) قيل في تفسيره أن ذلك الصوت الحق فهو نعمة من الله على صاحبه وزيادة في خلقه في حين ذم الصوت الغطيع بقوله ﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ (٣)

ثانياً : أدلتهم من السنة :

- ١ - حديث أنس بن مالك قال : كان الانصار يحفرون الخندق فجعلوا يقولون نحن الذين بايعوا محمداً - على الجهاد ما بقينا أبداً فأجابهم - رسول الله صلى الله عليه وسلم :
- اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الانصار والمهاجرة . (٤)
- وقالوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقر الانصار على هـذا النشيد بل شاركهم وإذا جاز سماع الأشعار بغير الألحان الطيبة فلا يتغير الحكم بالسمع بالألحان .

(١) الروم : ١٥ .

(٢) فاطر : ١ .

(٣) لقمان : ١٩ .

(٤) صحيح البخاري : ١٠٨١ / ٣

- ٢ - ماروى عن عائشة أن أباً بكر الصديق (رضي الله عنهما) دخل عليها وعندها قينتان تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعث فقَالَ أبو بكر : مزمار الشيطان (مرتين) فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعهما يا أباً بكر فإن لكل قوم عيداً وعيدنا هذا اليوم . (١)
- ٣ - وقالوا: إن الشعر أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينه عنه بل إنه استنشد الأشعار ، ومادام أن الرسول قد أقـرر غناء القنيتان في بيته عند عائشة بل أنكر على الصديق إنكـاره عليهما ومادام أنه سمع من ينشد الشعر بل إنه استنشد الأشعار فهذا دليل على جواز ذلك ونحن إنما نفعل مثل ذلك .
- ٤ - من ضمن أدلتهم الأحاديث الواردة بتحسين الصوت بالقرآن مثل : حديث البراء بن عازب " حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً " . (٢)
- وحديث أنس " لكل شيء حليلة وحلية القرآن الصوت " . (٣)
- وحديث : " ما اذن الله لشيء ما اذن للنبي أن يتغنى بالقرآن " . (٤)
- وقوله عليه السلام لابي موسى الاشعري " لقد وثبت مزماراً من مزامير آل داود " . (٥)

(١) صحيح البخارى ج: ٢٢٤/١

(٢) سنن النسائي : ١٧٩/١ .

(٣) مسلم : ٣١٧/٢ .

(٤) صحيح البخاري : ١٩١٨/٤ .

(٥) صحيح البخارى ١٩٢٥/٤ .

(١)

وقول النبي موسى له عليه السلام " لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً " وماقيل من أن داود عليه السلام كان يستمع لقراءته الجن والإنس والطير والوحش إذا قرأ الزبور ... الخ . (٢)
استدلوا من مجمل هذه الأحاديث بامتداح الصوت الحسن وقالوا : إنهم إنما يجتمعون على الأصوات الحسنه .

هـ - كما استدلوا بحديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " صوتان ملعونان : صوت ويل عند مصيبة وصوت مزمار عند نعمه " (٣)
وقالوا : إن مفهوم الخطاب يقتضي إباحتها صوت المزمار عند غير النعمة لأنه لو لم يكن كذلك لبطل التخصيص .

ثالثاً : الأدلة من الآثار :

مما نقلوه من الآثار عن الصحابة والتابعين وبعض الأئمة حول السماع أنه روى عن ابن عمر آثاراً في إباحتها السماع وكذلك عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعن عمر وغيره في الحداء .
وذكر أنه استفاضت الآثار في ذلك وأنه روى عن ابن جريج (٤) أنه كان يرخص في السماع وأن الشافعي لا يحرمه ويجعله في العوام مكروهاً ولا يلحقه

(١) صحيح مسلم : ٣١٧/١ ، نسق البخاري ، صحيح البخاري ٩٣/٩ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الترمذي : ٢٣٦/٢ ، تحفة الأحوذى .

(٤) ابن جريج هو خالد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ولد بمكة سنة ٨٠ هـ . وهو إمام أهل الحجاز في عصره قال الذهبي كان ثبتاً لكنه يدلّس - تذكرة الحفاظ : ١٦٩/١ .

بالمحرمات ، وقالوا : إن الأكابر سمعوا الأبيات بالآلحان وممن قال
 بإباحته مالك بن انس وأهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء ، فأما الحداء
 فإجماع منهم على إباحته .

وقالوا مادام هذا الجمع من السلف قد أباحه فنحن نقتدى بهم .

رابعاً : الأدلة العقلية :

- ١ - إن ما يوجب للمستمع توفر الرغبة على الطاعات وتذكر ما أعد الله
 لعباده المتقين ويحمله على التحرز من الزلات ويؤدي إلى صفاء
 الواردات مستحب في الدين ومختار في الشرع واستلذاذ القلب
 واشتياقها إلى الأصوات الطيبة مما لا يمكن حجوده فإن الطفل يسكن
 للصوت الطيب والجمل يهون عليه التعب بالحداء .
- ٢ - إن السماع يحصل محبوب الله وما حصل محبوبه فهو محبوب له .
- ٣ - قالوا : إن الإجماع منعقد على إباحة أصوات الطيور المطربة الشجية
 فلذة سماع صوت آدمي أولى بالإباحة أو مساوية . (١)

(١) مجموع أدلتهم استخلصت من الاستقامة والرسالة القشيرية بتمصرف .

المبحث الثالث : أحوال الصوفية عند السماع :

سئل محمد بن سيرين ^(١) عن يسمع إذا استمع القرآن ، فقال :
 ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من آوله
 إلى آخره فإن سقطوا فهم كما يقولون ، وقال الفضيل بن عياض لابنـه
 وقد سقط يابني إن كنت صادقاً لقد فضحت نفسك وإن كنت كاذباً فقد اهلكـت
 نفسك . ^(٢)

وقال رجل لمالك بن أنس عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيراً ثم
 يأخذون في القصائد ثم يقومون فيرقصون فقال مالك : أصبيان هم ؟
 فقال لا قال أمجانيين هم ؟ قال : لا . هم مشايخ وعقلاء ، قال : ماسمعت
 أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا . ^(٣)

نقول هذا في مقدمة بيان الأحوال الشيطانية للصوفية التي غزو بها عقول
 الكثير من السذج والجهلة وشوهو بها صورة الإسلام الحق حتى تصور الجهلة
 بالإسلام أن هذا هو الإسلام واستغل ذلك أعداء الإسلام والمبشرون ليقولوا
 للناس انظروا هذا الإسلام الذي يدعى المسلمون أنه أحسن الأديان وأكملها
 وهكذا حورب الإسلام بأيدي أهله .

(١) هو محمد بن سيرين الأنصاري البصري ، ثقة ثبت عابد ولد سنة ٣٣هـ
 واستقر بالبصرة ، واشتهر بتفسير الأحلام ، وهو من كبار التابعين
 كان لا يروى الرواية بالمعنى ، مات سنة ١١٠ - سيزكين ٩٧/٤ .

• تقريب التهذيب : ١٦٩/٢ .

(٢) إغاثة اللفهان ، ص ٢٢٥/١ .

(٣) الصوفية نشأتها وتطورها : ص : ٩٠ .

وسنعرض في هذا المبحث لطائفة من أحوالهم عند السماع على أننا سنقتصر في الغالب على ما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية التزاماً بمنهج البحث سائلين من الله العون والتوفيق لنا والهداية لضعفائنا المسلمين.

١ - من أحوالهم التي يدعونها مانقل عن رويم^(١) لما سئل عن أحوالهم

عند السماع فقال : يشهدون المعاني التي تعذب عن غيرهم فتشعر اليهم إلى إلى فينعمون بذلك من الفرح ثم يقطع الحجاب فيعود ذلك الفرح بكاء فمنهم من يخرق ثيابه ومنهم من يصيح ومنهم من يبكي كل إنسان على قدره . (٢)

٢ - قال بعضهم : أهل السماع على ثلاث طبقات هي :

- (أ) أبناء الحقائق يرجعون في سماعهم إلى مخاطبة الحق سبحانه لهم .
- (ب) من يخاطبون الله بقلوبهم بمعاني ما يسمعون .
- (ج) من يسمعون بطيبه قلوبهم . (٣)

٣ - قال أحدهم : السماع فيه نصيب لكل عضو فما يقع على العين تبكي وما يقع على اللسان يصيح وما يقع على اليد تمزق وما يقع على الرجل ترقص . (٤)

٤ - يقول أبو سهل المفلوكي^(٥) المستمع بين استتار وتجل فالاستتار

(١) رويم هو أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد البغدادي من مشايخ الصوفية ببغداد توفي سنة ٣٣٠ هـ الأعلام : ٦٥/٣ ، القشيري ج ١/ ١٢٧

(٢) الرسالة القشيرية ج ٢ : ٦٤٧ .

(٣) المرجع السابق : ٦٤٩/٢ .

(٤) المرجع السابق : ٦٥٧/٢ .

(٥) هو محمد بن سلمان بن محمد بن هارون الحنفي (ولم اجد له أكثر من ذلك .

يوجب التلهب والتجلي يورث الترويح والاستتار يتولد منه حركات

المريدين والتجلي يتولد منه سكون الواصلين . (١)

هـ - مانقوله من قصص من الزعق والارتجاف والاعشاش والبكاء والهمهمهمه^٢

والرقص والتصفيق وهناك صور من أحوالهم كثيرة مما زين الشيطان

بها عليهم كالطيران في الهواء والتكلم بلسغات أخرى ومس النار والحيات

ونحو ذلك وهي كلها تدور على أحوال شيطانية وعلى حيل يلبسون

بها على العامة والدليل على ذلك أن أغلب هذه الأحوال لا تحصل لهم

عند سماع القرآن وإنما عند سماع الغناء واللحن والتراتيل التي

يرددونها وهاهم يشهدون على أنفسهم بذلك ، فقد سئل الخواص (٢)

مأبال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن ولا يجد ذلك في سماع

القرآن ؟ قال : لأن سماع القرآن صدمة لا يمكن لأحد أن يتحرك فيه

لشدة غلبته وسماع القول ترويح فيتحرك فيه . (٣)

يقول ابن تيمية ومن نكت السماع إن الصوت يؤثر في النفس فتارة

يفرح وتارة يحزن وتارة يفض وتارة يرض وإذا قوى أسكر الروح فتصير

في لذة مطربه من غير تمييز كما يحصل للنفس إذا سكرت بالرقص . (٤)

(١) الاستقامة : ٤٢٠/١ .

(٢) هو أبو اسحق إبراهيم بن أحمد الخواص من أقران الجنيد مات سنة

٢٩١هـ - الرسالة القشيرية ١٤٧/١ .

(٣) المرجع السابق : ٦٥٠/٢ .

(٤) الفتاوى : ٥٩٤/١١ .

ويتحدث ابن تيمية عن كبريائه له مع أصحاب السماع فيقول : كنت فسي
أوائل عمرى حضرت مع جماعة من أهل الزهد والعبادة والإرداءة .. فبتنا
في مكان وأرادوا أن يقيموا سماعاً وأن أحضر معهم فامتنعت من ذلك
فجعلوا لي مكاناً منفرداً قعدت فيه فلما سمعوا وحصل الوجد^(١) والحال
صار الشيخ الكبير يهتف بي في حال وجدته ويقول يا فلان قد جاءك نصيب عظيم
تعال خذ نصيبك فقلت أنتم في حل من هذا النصيب فكل نصيب لا يأتي عن
طريق محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فأني لا آكل منه شيئاً ، وتبين
لبعض من كان فيهم ممن له معرفة وعلم أنه كان معهم الشياطينــــــــــــــــــــــ
وكان معهم من هو سكران بالخمير . (٢)

ويقول الغزالي : يحوز للموفي تمزيق الثياب الجديدة أثناء السماع ...
الى أن قال : واعلم أن السماع أشد تهيجاً للوجد من القرآن (٣) .
أما همهما تهم بهوهو اهـ (أه أه) أو (الله الله) وغير ذلك من الصيغ
وهز الرقوس والتمايل وغير ذلك فهذه حالات لم يتعرض لها ابن تيمية
في الاستقامة وإنما لن نتعرض لها هنا . على أن المهم ليس الصيغ التي
تقال وإنما المبدأ التي تقوم عليه ثم بعد ذلك ماذا نقول عن الصوفية
وأحوالهم وقدمر علينا نماذج من تلك الأحوال في سالف عصرهم كيف بحالهم
اليوم وماذا يعملون وماهي أحوالهم عند اجتماعهم على محرم الله

(١) الوجد كما يفهم من كلام الغزالي : حاله نفسيه وانفعالات باطنية
يثيرها السماع والغناء كالخوف والشوق والحزن والقلق والسرور

الإحياء : ٢٨٩/٢ .

(٢) الفتاوى : ١٨٨

(٣) أبهر حامد الغزالي والتصوف : ٢٤٢ - ٢٤٥ .

ورسوله من غناء ورقص وأفعال منكرة يقول الأستاذ التابعي : إنني
أعرف شيخ طريقة اختار أحد بارات شارع شريف (بالقاهرة) مقرا لله
ويقصده في البار المذكور اتباعه ومريدوه كلما أرادوا مقابلته في
أمر ما ويخرج هو اليهم ويمد يده يلثمونها ورائحة الخمر تفوح من
فمه وقطرات الخمر على يده وبقايا المزة على صدره وذقنه وأكمامه
ويلتفت الشيخ إلى أصدقائه الجالسين في البار ويطلق نكته ما ويشترك
معهم في الضحك من عبط المريدين والاتباع . (١)

ماذا يقول غير المسلمين عن الإسلام إذا رأوا تلك النماذج التي تدعي
أنها تمثل الإسلام . والإسلام منها براء ^{أي} لهم من صحابة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ؟ الذين كانوا يستمعون الوحي غضا طرياً نزل لتوه من
السماء فلا يصعقوا ولا يتواجدوا ولا يرقصوا وإنما حالهم كما وصفهم
ربهم (تري أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) ^(٢) ألم يقل
المصطفى صلى الله عليه وسلم للرجل الذي صعق عند الموعظه ؟ " من ذا
المليس علينا ديننا ؟ ^٩ إن كان صادقاً فقد شهر نفسه وإن كان كاذباً
فمحقه الله " .

(١) هذه هي الصوفية : ص : ١٤١ .

(٢) المائدة : ٨٣ .

وقال عامر (١) بن عبدالله بن الزبير جئت إلى أبي فقال لي : أين كنت؟ قلت : وجدت أقواما ما رأيت خيرا منهم يذكرون الله عز وجل فيرتعد أحدهم حتى يخش عليه من خشية الله فقعدت معهم فقال : لا تقعد معهم بعدها ... رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر يتلون القرآن ولا يصيبهم هذا أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر (٢) ... ونحن نقول : هل الموفية أخشع لله من عباد الله المتقين ولا نزكي على الله أحدا .

(١) هو عامر بن عبدالله بن الزبير بن العوام الأسدي ثقة عابد

مات سنة ٢١ هـ - التقريب ٣٨٨/١ .

(٢) إغاثة اللفغان ج ١ : ٢٥٢ - ٢٥٤ بتصرف .

المبحث الرابع : ما يوجب السماع من بدع ومنكرات :

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " (١) متفق عليه .

إن كل ما يخالف ما شرعه الله ورسوله فهو مردود غير مقبول لأنه بني على غير أساس لذلك فلا غرابة أن يوجب بدعة الصوفية في السماع من المنكرات والبدع الشيء الكثير وسنعرض في هذا الفصل لنماذج من تلك المنكرات والبدع :

(١) الاستماع للمخانيث المعروفين بالفناء لأهل الفسوق ومن المردان والنساء الجميلات وهذا من أعظم المنكر لأنه يؤدي إلى إشارة الغرائز وللنظر إلى ما حرم الله ويمدح عن ذكر الله وربما قعدوا التكاشف والافتخار بالنساء الجميلات والمردان ويجعلون مشاهدتهم ومعانقتهم مطلوباً لمن يحضر من الأعيان وإذا غلبهم وجد الشيطان رفعوا الأصوات المنكرة كما أن فيه تشبه الرجال بالنساء ، لذلك فالذين يجتمعون من الرجال والنساء والمردان لسماع المكاء والتصديع ويطلقون المصاييح اجتمعوا على غناء وزنا ومطاعم خبيثة وجعلوا ذلك عبادة ، وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال الأجوفاً ، الغم والفرج . "رواه الترمذى" . (٢)

(١) صحيح البخارى : ٩٥٩/٢ ، صحيح مسلم بشرح النووي : ١٦/١٢ .
(٢) سنن الترمذى : ٢٤٥/٣ .

٢ - كثيرا ما ينددون أشعار الفساق والفجار وفيهم من ينشر أشعار الكفار مع استعمال الآلات الفاتنة بل كثيرا ما أفضى ذلك إلى الاستهزاء بالقرآن ودم المساجد والصلوات والطنن في أهل الإيمان واتخاذ المخلوق لها من دون الله وربما أدى إلى شرب أهوال المستمعين ورفع الصوت بالمنكرات وجعل ذلك أفضل أحوال العارفين^(١) ، وفي هذا من الفواحش الظاهرة والباطنة والإثم والبغي والإشراك بالله ما لم ينزل به سلطانا .

٣ - كثرة إيقاد النار بالشموع والقناديل والتنوع في المطاعم والمشارب عند السماع وهذا ليس من شأن العبادات لذلك يجد أهل السماع أن نفوسهم تميل إلى الفحشاء والمنكر خاصة عند السماع بسبب تأثير الاصوات ومشاهدة الصور وهذا مما يضر العبادة كالملاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر^(٢) .

٤ - الاستغناء بسماع الغناء عن سماع القرآن كما قال تعالى ﴿ أفمن — هذا الحديث تعجبون ، وتضحكون ولا تبكون ؟ وأنتم سامدون ﴾^(٣) . قال غير واحد من السلف السمود هو الغناء فقد ذم الله المعرض عما يجب الاشتغال به إلى الاستماع للغناء^(٤) .

١ (١) ابن تيمية الاستقامة : ١ : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٢) الاستقامة : ٣١٨/١ .

(٣) النجم : ٥٩ - ٦٠ - ٦١ .

(٤) الاستقامة : ٢٢٩/١ بتصرف .

وقد مر بنا قول الغزالي : إن السماع أشد تهييجه للوجد من القرآن
بل إنه قال : إن التشبب بوصف الخدود والأصداغ وحسن القد والقامة^١
وسائر أوصاف النساء الصحيح أنه لا يحرم . (١)

قال ابن القيم (رحمه الله) وقد شاهدنا وغيرنا ثقل القرآن على
أهل السماع وتبرمهم به وصباحهم بالقارئ إذا طول عليهم فإذا
جاء قرآن الشيطان فلا إله إلا الله كيف تخشع منهم الأصوات .
وتهدأ الحركات ويقع البكاء والوجد والحركات الظاهرة والباطنة
إلى أن قال :

تلى الكتاب فاطرقوا لاختيفة لكنه إطراق ساه لاهي
وأش الغناء فكالذباب تراقصوا والله مارقصوا من أجل الله
دف ومزمار ونغمة شاهــــــــــــد فمتى شهدت عبادة بملاهي (٢)

هـ - التصفيق والصياح ورفع الصوت وتمزيق الشياح قال تعالى : * وما
كان صلاتهم عن البيت إلا مكاء وتصديه * (٣)

قال القرطبي المكاء الصغير والتصديه التصفيق ، وقيل المكاء
ضرب بالأيدي والتصديه الصياح وعلى التفسيرين ففيه رد على الجهال
من الصوفية الذين يرقصون ويصفقون ويمعقون وذلك كله منكرو يتنزه

(١) أبو حامد الغزالي والتموف : ٢٤٥ . تلبيس إبليس : ٢٢٢

(٢) مدارج السالكين : ٥٢٣/١ .

(٣) الأنفال : ٣٥ .

عن مثله العقلاء ويتشبه فاعله بالمشركون فيما كانوا يفعلونه عند البيت . (١) مع أن رفع الصوت منهي عنه في العبادات إلا ما استثنى الله قال تعالى : ﴿ واقصد في مشيك واغضض من صوتك ﴾ (٢) والمغني لم يفيض صوته والراقص لم يقصد في مشيه .

(١) الجامع لأحكام القرآن : ٤٠٠/٧ .

(٢) لقمان : ١٩ .

- المبحث الخامس : آثار السماع على الصوفية :

" يقول بعض العلماء العارفين : إن أحوال السماع بعد مباشرته تبقى غير مقدورة للإنسان بل تبقى حركه نفسيه ، وأحوالها أعظم من أحوال الإنسان بعد مباشرته شرب الخمر فإن فعل هذا السماع في النفوس أعظم من حميا الكؤوس " . (١)

ونحن نقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من تشبه بـقوم فهو منهم) (٢) .

فأهل السماع تشبهوا بأهل الضلال من فساق المسلمين ومن اليهود والنصارى والمشركين كما سيأتى بيانه / بسبب هذا السماع المنكر لأن الشيطان دخل على الصوفيه من هذا الباب كما حكى عن أبي سعيد الخراساني (٣) أنه قال : رأيت أبلس في النوم وهو يمر عنى ناحية فقلت تعال مالك ؟ فقال : بقي لي فيكم لطيفه السماع وصحبه الأحداث . (٤)

ونستطيع القول أن من أهم آثار السماع المنكر مايلي :

١ - الإلهاء عن ذكر الله وعن الصلاة قال تعالى ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ﴾ (٥) فهذا

(١) الاستقامه : ٣٩٣/١ .

(٢) سنن أبي داود كتاب اللباس ٢١٦/٤

(٣) هو أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراساني من أهل بغداد من أصحاب

ذكر النون مات سنة ٢٧٩هـ سيزكين ج: ٤ ص : ١٢٧ .

(٤) الاستقامه : ٣١٩/١ .

(٥) لقمان (٦) .

السمع يشغل قلوبهم ونفوسهم عما عداه وكم نلاحظ هذا في وقتنا الحاضر فيما يسمى بدور الفن والسينما حينما تقضي الساعات الطوال في مشاهدة العهر والفجور من الممثلين والممثلات ومن المغنين والمغنيات ويعز على النفس وصف حالات أولئك المستمعين والمشاهدين ، عافانا الله مما ابتلاهم ، ويحصل قريبا من ذلك في السماع الصوفي الإلماشاء الله .

يقول الشافعي رحمه الله ^س : خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التعبير يصدون به الناس عن القرآن . ويقول ابن تيمية إنه يوجد في السماع أعظم مما يوجد في الخمر من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة ومن إيقاع البغضاء والعداوة حتى يقتل بعضهم بعضا فيه . (١)

٢ - مشابهتهم للنصارى في الغلو في الدين واتباع الهوى لأنهم يعتقدون أن بدعة السماع تهديهم إلى محبة الله في حين أنها تصدهم عن سبيل الله قال تعالى (ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين وإنيهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) * (٢) فالسمع المبتدع يحرك ويهيج القلب والحركة لما لا يحبه الله ويرضاه فهو إنما يحرك محبة الخلل والأوطان والنسوان والمردان وغيرها فهو إذاً يحرك وجدهم ومحبتهم لغير الله فهم كالذين اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله

(١) الاستقامة : ٣١٤/١ ، تلبيس إبليس : ٢٣٠ .

(٢) الزخرف : ٣٦ - ٣٧ .

ومحبة الله والقرآن لا يجتمعان في قلب مع محبة هذا السماع (١)

٣ - كسلهم عن الجهاد في سبيل الله وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن محبة الله وتعظيمه والغيرة لمحارمه فالسماع المحدث وتوابعه ضد الجهاد في سبيل الله حتى أن بعضهم يعدون الجهاد نقصاً في طريق الله ومنافياً للسلوك الكامل إلى الله . (٢)

وأكبر دليل على ذلك أن أحد أئمة الصوفية المشهورين وهو أبو حامد الغزالي الذي عاصر دخول الصليبيين لبيت المقدس لم يشارك في الجهاد لا بسلاحه ولا بقلمه ولا بلسانه بل إنه لم يتكلم عن هذا الموضوع الخطير الذي حصل في عصره ، كما أن للصوفية مواقف مخزية كثيرة في التعاون مع أعداء المسلمين ، ويؤولون كل آيات وأحاديث الجهاد بأن المقصود منها جهاد النفس الذي يدعون أنه ديد نههم ويتداولون حديثاً موضوعاً يقولون : (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) يعني جهاد النفس ويقولون : إن من الرضا أن تسلم بما يحصل واعتبروا أن تسليط الكفار على المسلمين مراد لله تعالى ومرضى له فعلى الرضا به أو أنه عقوبة من الله للمسلمين على أفعالهم فعليهم أن يرضوا بذلك . (٣)

(١) الاستقامة : ٢٦١/١ - ٢٦٧ .

(٢) الاستقامة : ٢٦٨/١ .

(٣) ابن تيمية والتموف : ٣٠٩ .

وقد جاء في الأثر ما ظهرت المعازف وآلات اللهو في قوم واشتغلوا بها إلا سلب الله عليهم العدو وبلو بالقحط وولاة سوء لأن حياة اللهو تحلل عناصر القوة والنشاط العلمي والعملية فتضعف الدولة وتنهار الأخلاق لأن الدول لا تبني إلا على سواعد الرجال الأقوياء الجادين لا الكسالى والمنعمين .

٤ - إن السماع المحدث دائرة بين الكفر والفسوق والعصيان لأن تأثير الأصوات في النفوس من أعظم التأثيرات يغنيها ويغذيها وهو يوجب للنفس أحوالا عجيبة يظن أصحابها أن ذلك من جنس كرامات الأولياء بينما هي من الأمور الباطلة المبعدة عن الله . . . فربما يخف أحدهم حتى يرقص فوق رؤوس أصحابه بينما الشيطان هو المقوى لنفوسهم (١) قال تعالى ﴿ وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ﴾ (٢) .

قال ابن تيمية : فصار فيه من الخواش الظاهرة والباطنة والإثم والبغي بغير الحق والإشراك بالله ما لم ينزل به سلطانا والقول على الله بغير علم مما لم يحصيه إلا الله وقد تنوع وتعدد فيه أهله وتفرقوا وصاروا شيعا لكل قوم وذوق ومشرب وطريق يفارقون به غيرهم حتى في الحروف المنشدة والأصوات الملحنة . والأذواق الموجودة والحركات الشائرة والقوم المجتمعين . . . ثم مع اشتماله على المحرمات كلها أو بعضها يرون أنه من أعظم القربات . (٣)

(١) الاستقامة : ٣٠٩ .

(٢) الأعراف : (٢٠٢) .

(٣) الاستقامة : ٣١٠/١ - ٣١١ .

هـ - يحصل بالسمع فتنة من جهتين : من جهة أنه بدعة في الدين ، ومن

جهة أنه فجور في الدنيا .

ففي الأولى ما قد يحصل من الاعتقاد الفاسد في حق الله والعبادات

التي لا تصلح له ، أما في الثانية فلما يحصل من دواعي الرنسا

والفواحش والإثم والبغي على الناس . (١)

وقال ابن الجوزي : إن سماع الغناء يلهي القلب عن التفكير فـ

عظمة الله تعالى والقيام بخدمته ويميله إلى اللذات العاجلة ويدعوه

إلى استيفائها . (٢)

على أن للسمع آثاراً أخرى كثيرة أخلاقية ونفسية ومادية غير ما ذكرنا

وإنما اقتصرنا على المهم الجامع وإلا فعند الاستقامة تظهر أموراً أخرى

ذلك أنه يجمع كثيراً من المنكرات ويتولد عن ذلك منكرات أخرى

فهو وسيلة للزنا واللواط ومضيعة للوقت والمال

وإظهار للباطل وإبطال للحق ونصر لأعداء الله وباليات ابن تيمية

يرى واقع الصوفية اليوم حيث المجلس الصوفي العالمي في لندن أقدم

عواصم دول العالم المحاربة للإسلام وما أدراك ما الهدف من ذلك حين

تحاول بريطانيا لما لها من خبرة سابقة بالدول الإسلامية استقطاب

مثل هذه الحركات وتوجيهها لما فيه مصلحة أعداء الإسلام وليس يطر

(١) الاستقامة : ٤٠٩/١ - ٤١٠ .

(٢) تلبيس ابليس : ٢٢٢ .

المصوفيون على المهاجرين المسلمين هناك خاصة المسلمين من غير
العرب ممن لا علم لهم وخلفيتهم الدينية ضعيفة وهم في نفس الوقت
يمثلون الثقل في العالم الإسلامي من حيث كثرة سكان دولهم وانتشارهم
في العالم فيتبعون الموفيه ظنا منهم أنها الإسلام الحق ، كما
أن الإعلام النفعي التي تديره الصهيونية العالمية يطبل لهؤلاء
المصفيين وينشر أذليلهم ، أعاد الله للإسلام مجده وقوته وأبطل كيد
الكائدين الضالين وبصر الأمة الإسلامية بما يحاك لها من وسائل
وأعانها على مواجهة أعدائها .

- المبحث السادس : أقوال مشايخ الصوفية في السماع :

سنعرض في هذا المبحث نماذج ما قاله أئمة الصوفية في السماع وسنترك توجيه ابن تيمية لهذه الأقوال في الفصل الأخير على أنه يلاحظ أن هذه الأقوال تدور بين ناه عن السماع وبين داع له وبين من يفصل ذلك مع أن أكثر المشايخ لهم أكثر من قول ومن خلال استعراض هذه الأقوال اعتقد أن اختلاف أقوالهم إنما مرجعه إلى أخذهم بمبدأ التقية وأنهم يقولون الكلام الحسن تغطية وتمويه على من خالفهم وإلا فعقيدتهم في السماع ثابتة كما سبق الإشارة إليها في أول هذا الفصل، هذا إذا استثنينا بعض فضلائهم ومن أقوالهم ما يلي :

(١) لما أورد القشيري رأى الشافعي في الغناء وإن من احترفه ترد به شهادته قال : وليس كلامنا في هذا النوع من السماع فإن هذه الطائفة جلت رتبته عن أن يستمعوا بلهوا ويقعدوا للسماع بسهولة ويكونوا بقلوبهم مفكرين في مضمون لغو أو يستمعوا على صفة غير كفاء. (١)

(٢) وذكر أبو طالب المكي (٢) في قوت القلوب إن من أنكر السماع مطلقا غير مقيد فقد أنكر على سبعين صديقا. (٣)

(١) الرسالة القشيرية : ٦٣٩/٢ .

(٢) هو أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي صوفي ، نشأ بمكة ، وله كتاب قوت القلوب في التصوف ، توفي سنة ٣٨٦هـ في

بغداد سيزكين تاريخ التراث العربي ج: ٤ ص : ١٦٨ .

(٣) الاستقامة : ٢٩٩/١ .

٣ - يقول الجنيد : السماع فتنة لمن طلبه ترويح لمن صادفه ، ويقول :

الرحمة تنزل على الفقراء / من أوصاف الصوفية / في ثلاثة مواطن : عند السماع فإنهم لا يسمعون إلا عن حق ولا يقومون إلا عن وجد ، وعند أكل الطعام وعند مجارة العلم .
وقال : إذا رأيت المريـد - يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة .

كما حكى عنه أنه قال السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء : الزمان والمكان والـأخوان . (١)

٤ - ويقول أبو علي الدقاق : السماع حرام على العوام مباح للزهـاد مستحب لأصحابنا ، وقال السماع لا عن شرع وخرق لا عن حق وفتنه لا عن غيره . (٢)

٥ - أما أبو علي الروذباري (٣) فيقول الملاهي لي حلال لأني وملت إلى درجة لا يؤثر في اختلاف الأحوال ، وسئل يوما عن السماع فقال : ليتنا تخلصنا منه رأساً برأساً . (٤)

(١) الاستقامة ٣٩٤/١ - ٤٠٦

(٢) القشيرية : ٦٤٤/٢ - ٦٤٦ .

(٣) أبو علي الروذباري هو أبو عبدالله أحمد بن عطاء بن أحمد الروذباري ولد سنة ٣٠٣ هـ ولد في بغداد ثم انتقل إلى صور وكان أحد الصوفية

المرموقين توفي سنة ٣٦٩ - سيزكين : ١٦١/٤ .

(٤) الاستقامة ٤١١/١ .

- ٦ - الحارث المحاسبي (١) يقول : ثلاث إذا وجدن تمتع بهن وقد فقدناهن :
حسن الوجه مع الصباية وحسن الصوت مع الديانة وحسن الإخاء مع
الوفاء . (٢)
- ٧ - سئل ذو النون المصري عن الموت الحسن فقال : مخاطبات وإشارات أودعها
الله كل طيب وطيبه ، وسئل عن السماع فقال : وارد حق يزعج القلوب
إلي الحق فمن أصفى إليه بحقه تحقق ومن أصفى إليه بنفسه تزندق . (٣)
- ٨ - يقول الشبلي (٤) عن السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عسرف
الإشارة حل له السماع بالعبرة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبليه . (٥)
ويقول أبو يعقوب النهرجوري (٦) : السماع حال يبدي الرجوع إلى
الأسرار من حيث الاحتراق . (٧)
- ٩ - وسئل رويم عن وجود الصوفية عند السماع فقال : يشهدون المعاني
التي تعذب عن غيرهم . (٨)

- (١) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ، مات ببغداد سنة ٢٤٣
من أوائل المتصوفة / القشيرية ٧٨/١ .
- (٢) القشيرية : ٦٤٥/٢ .
- (٣) الاستقامة : ٣٨٣/١ .
- (٤) هو أبو بكر دلف بن جدر الشبلي ولد سنة ٢٤٧ هـ في سامراء وتوفي
في الأربعين من عمره وأنضم إلى أصحاب الجنيد والحلاج وقد صاحب
الجنيد ومات سنة ٣٣٤ هـ ببغداد / سيزكين : ١٥٥/٤ .
- (٥) القشيرية : ٦٤٥/٦ .
- (٦) اسمه إسحاق بن محمد النهرجوري من علماء مشايخ الصوفية مات
بمكة عام ٣٣٠ هـ ، طبقات الصوفية ، ٣٧٨ - ٣٨١ .
- (٧) القشيرية : ٦٤٦/٢ (٨) الاستقامة : ٤١٤/١ .

١٠- وقال أبو عثمان (١) الحيري: السماع على ثلاثة أوجه ، فوجه منها للمريدين والمبتدئين والثاني للمصدقين يطلبون به الزيادة والثالث لأهل الاستقامة من العارفين . (٢)

فهذه نماذج من أقوال مشايخ الصوفية في السماع وهناك الكثير في القشيرية مما لم يورده ابن تيمية وفيه من المغالاة الشيء الكثير مما يدل على تمكن السماع منهم بصر الله المسلمين بدينهم وهداهم إلى الطريق المستقيم .

(١) هو سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري النيسابوري

شيخ الصوفية بنيسابور ، توفي سنة ٢٩٨ هـ القشيرية ١٢٠/١

طبقات الصوفية ١٧٠/ .

(٢) الاستقامة : ٤٢١/١

* الفعل الثالث *

- موقف ابن تيمية من السماع الصوفي -

- المبحث الأول : ردوده على أدلتهم وبيان الحق في ذلك :

- من خلال استعراضي لأقوال شيخ الإسلام وآرائه حول أفكار وأراء الصوفية في السماع وجدته يقسمهم إلى ثلاثة أقسام هي :
- ١ - عامتهم : وهم الغالبية ممن فيهم حب الله ورسوله وهم الذين اهتم بهم وناقش آرائهم بالتفصيل .
 - ٢ - من اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وهؤلاء يكون فـي سماعهم الكثير مما يحرك وجدهم ومحبتهم لغير الله .
 - ٣ - منهم من يصرح بسقوط الفرائض كالصلوات الخمس ويحل الخبائث من الخمر والفواحش فهؤلاء قد يهجرون القرآن وينشغلون عن قراءته بما اعتاضوا به من السماع . (١)
 - والقسمين الآخرين لم يهتم بهما ابن تيمية باعتبارهم غلاة وأقلية ولا يحكم على الطائفة بأقوالهم .
 - على أن شيخ الإسلام عندما يريد أن يحكم على رأى الصوفية في مسألة ما نجده يحاول إيجاد المخرج ويلتمس العذر لكل ما يخالفهم به بل إنـه يحاول حمل عباراتهم المحمل الحسن ما وجد إلى ذلك سبيلا .

(١) ابن تيمية - الاستقامة : ٢٦٦/١ - ٢٦٨ .

وقد أشار رحمه الله إلى طريقته في مناقشتهم حين قال : فكتبت من تمييز ذلك مايسره الله واجتهدت في اتباع سبيل الأمة الوسط الذين هم شهداء على الناس دون سبيل من قد يرفعه فوق قدره في اعتقاده وتصوفه - أو يحطه دون قدره فيهما ممن يسرف في ذم أهل الكلام أو يذم طريقة أهل التصوف مطلقا . (١)

كما أنه يشير إلى أن الغلط كثيرا ما يحصل بسبب عدم صحة النقل عن هؤلاء المشايخ وإلى أن مؤلفات الصوفية تشتمل على أحاديث ضعيفة بل موضوعة أحيانا (٢) وذلك بسبب قلة بضاعتهم من الحديث حتى أن الغزالي مع جلالة قدره أورد كثيرا في إحيائه أحاديث ضعيفة ، وهكذا لم يترك ابن تيمية طريقا يستطيع أن يجد به مخرجا لأقوالهم إلا سلكه . لانقول ذلك قدحا في شيخ الاسلام . ولكن نورد هذه في مقدمة ردوده على الصوفية لبيان طريقته وأنه لم يتحامل عليهم أو يحاول إيجاد المصائد والسقطات وإنما كان هدفه / كما هي عادته / إيفاح الحق ورد الباطل أي كان قائله على أنه رضي الله عنه قد أورد حكما عاما على هؤلاء

(١) انظر ابن تيمية : الاستقامة : ٩٠/١ .

(٢) مثال للموضوعات في هذا الباب ما روى أن أعرابيا أتى إلى النبي

صلى الله عليه وسلم وأُشده

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راق

إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقتي

قال ابن تيمية فهذا موضوع باتفاق .

وأشار إلى أمثله أخرى في هذا الباب (الاستقامة : ج ١ : ٢٩٦-٢٩٧ .

المشايخ حيث قال : وما أعلم أحدًا من المشايخ المقبولين يؤثر عنه في السماع رخصة وحمد إلا ويؤثر عنه الذم والمنع فهم فيه كما يذكر عن كثير من العلماء في أنواع من مسائل الكلام ، فلا يوجد عن له في الأمر حمد شيء من ذلك إلا وعنه ما يخالف ذلك وهذا من رحمة الله بعباده الصالحين حيث يردهم في آخر أمرهم إلى الحق ولا يجعلهم مصرين على ما يخالف الدين المشروع . (١)

وقال رحمه الله عليه : والصوفية يوجد فيهم المصيب والمخطئ كما يوجد في غيرهم وليسوا في ذلك بأجل من الصحابة والتابعين وليس أحد معصوما في كل ما يقوله إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نعم وقوع الغلط في مثل هذا يوجب مانقوله دائما : إن المجتهد في مثل هذا من المؤمنين إن استقرَّ وسعه في طلب الحق فإن الله يغفر له خطاه وإن حصل نوع من التقصير فهو مذنب لا يجب أن يبلغ الكفر وإن كان يطلق القول بأن هذا الكلام كفر ... الخ . (٢)

كما أشار رضي الله عنه إلى أنه قد حضر السماع أقوام من أهل الإرادة ومنهم لهم نصيب من المحبة لما فيه من التحريك لهم ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغيبته مع أن هذا السماع المحدث هو أقرب لسماع المشركين من سماع المسلمين وإن كان قد غلط به قوم من صالح المسلمين . (٣)

(١) انظر الاستقامة : ٤٠٥/١ .

(٢) انظر الاستقامة : ١٦٣/١ - ١٦٤ .

(٣) ابن تيمية الفتاوى : ٥٧٢/١١ - ٥٩٧ .

كما رد عليهم ردا عاما بين فيه سبب خطيئتهم فيما اعتقدوه من مشروعية سماعهم حيث قال : وأصل الغلط في هذه الحجج الضعيفة أنهم يجعلون الخاص عاما في الأدلة المنصوصة وفي عموم الألفاظ المستنبطة فيجتاحون إلى أن الألفاظ في الكتاب والسنة اباحت أو حمدت نوعا من السماع فيدرجون فيه سماع المكاء والتصديع أو يجتاحون إلى المعاني التي دلت على الإباحة أو الاستحباب في نوع من الأصوات أو السماع ويجعلون ذلك متناولا لسماع المكاء والتصديع وهذا جمع بين ما فرق الله بينه وهو بمنزلة قياس الذين قالوا (إنما البيع مثل الربا) في حين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه . (١)

وقال إن كثيراً ممن صنف في السماع روى فيه من الأحاديث الموضوعية والمكذوبة وجمع فيه من غث وسمين ولم يميز ذلك وهذا من أسباب خطيئتهم ثم إنه قسم الكلام في السماع إلى قسمين :

(١) الكلام في سماع الطرب واللعب ، وقال إن هذا يقال فيه مكروه أو محرم أو باطل أو مرخص في بعض أنواعه ، وهو ماسبق الإشارة إليه في الفصل الأول .

(٢) السماع المحدث لأهل الدين والقرب فهذا يقال فيه إنه بدعة وضلاله وإنه مخالف لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأجماع السابقين جميعهم وإنما حدث في الأمة لما أحدث الكلام فكثر الكلام

(١) الاستقامة : ٣٤٣/١ - ٣٤٤ - الحديث في سنن الدارمي : ٤٤١/١ .

في العلماء والسماع في الزهاد . (١)

ويركز ابن تيمية على قضية التعبد في السماع باعتبارها المشكلة الرئيسية فيه حيث الابتداع ويضرب مثالا لذلك برجل يعدو بين جبلين فلو سئل عالم هل يباح له ذلك؟ لقال : نعم ، فإذا قيل إنه فعل هذا على وجه العبادة كالسعي بين الصفا والمروة لقال إن فعل هذا على هذا الوجه حرام منكر يستتاب عليه فإن تاب ولاقتل وهذا على فرض إباحة السماع مطلقا . (٢)

أما ردود ابن تيمية التفصيلية على أدلة الصوفية في السماع والتي سبق ذكرها في الفصل الثاني (٣) فإننا سنوردها باختصار غير مخل باذن الله وهي على النحو التالي :

أولا : رده لأدلتهم من القرآن :

أجاب على الدليل الأول في عدة نقاط وهي :

- ١ - إن الله لا يأمر باستماع كل قول بإجماع المسلمين وإن من القول ما يحرم استماعه ومنه ما يكره كما قال تعالى ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم ﴾ (٤)

(١) الاستقامة : ٢٨٠/١ .

(٢) ابن تيمية الفتاوى : ٦٣٢/١١ .

(٣) انظر ص : ٤٨ - ٥٢ .

(٤) النساء : ١٤٠ .

فقد أمرت الإيه بترك المكان الذي يقال فيه المنكر من القول
إذا لم يستطع الشخص الإنكار على المتكلمين وردهم إلى الصواب
فكيف يقال إن الله أباح الاستماع لكل قول .
وقال صلى الله عليه وسلم : " من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون
صب في أذنيه الآنك يوم القيامة " . (١)
وروى أن ابن مسعود سمع صوت لهُوَ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَكَرِيماً " . (٢)
كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ . (٣)
فإذا كان السمع والبصر والفؤاد كل ذلك منقسم إلى مأيومر به
وإلى ماينهى عنه والعبد مسئول عن ذلك كله فكيف يجوز أن يقال
كل قول في العالم فالعبد محمود على استماعه . . وقد دخل الشيطان
من باب السمع والبصر على كثير من النساك فتوسعوا في النظر
إلى الصور المنهى عن النظر إليها . وفي استماع الأقوال والأصوات
المنهى عنها بل زين لهم الشيطان ذلك حتى جعلوا مأنهوا عنه
عبادة وقربه إلى الله . (٤)

(١) صحيح البخاري : ٤٢/٩ .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور : ٨٠ - ٨١ .

(٣) الاسراء : (٣٦) .

(٤) ابن تيمية - الاستقامة : ٢١٦/١ - ٢١٨ .

٢ - أن المراد بالقول في الآية المذكورة هو القرآن وهو الذى أمروا بتدبره واستماعه قال تعالى : ﴿ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ﴾ (١) فالمراد بالقول القرآن والوحي على العموم لأن اللام في لغة العرب للتعريف فتصرف إلى المعروف عند المتكلم والمخاطب فكونها تقتضى التعميم والاستغراق لكن عموم ماعرف وهو القول المعهود من أول السورة ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ الآيات من أول سورة الزمر : وإذا تدبر المؤمن القرآن وجد أن الكتاب والقول والحديث وآيات الله كل ذلك واحد والله أشنى على المتبعين لذلك استماعاً وتدبراً وإيماناً وعملاً ، أما مدح الاستماع لكل قول فهذا لا يقصده عاقل فضلاً عن أن يفسر به كلام الله . (٢)

٣ - إن الله إنما حمد استماع القرآن وذم المعرضين قال تعالى : ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾ (٣) وقال : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ (٤)

فالله لم يمدح أى استماع إنما مدح المستمعين والمتأثرين بكلامه الذين يخشعون عندما يتلى عليهم بخلاف من يصدون عنه ويحاولون

(١) القصص : (٥١) .

(٢) ابن تيمية ، الاستقامة : ٢٢٢/١ .

(٣) المائدة : (٨٢) .

(٤) فصلت : (٢٦) .

التشويش على السامعين . (١)

٤ - إن الصوفية أنفسهم لا يستحسنون استماع كل قول بل هم أعظم الناس كراهة ونفرة لما لا يحبون من الأقوال فلماذا التحكم بالتعميم في موقف دون موقف . (٢)

٥ - إن الله سبحانه إنما مدح باتباع الأحسن ومن المعلوم أن كثيراً من القول ليس كذلك وفي القرآن آيات كثيرة توضح هذا المعنى قال تعالى ﴿ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ﴾ (٣) وقال ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ (٤)

وحدث على اتباع الأحسن فقال ﴿ واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ﴾ (٥) وقال ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني ﴾ (٦) وهكذا رأينا كيف رد ابن تيمية على استدلالهم بالآية ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ (٧) ، وقد لاحظنا أنه رد عليهم من عدة وجوه ففي الأول رد عليهم من ناحية دعوى أن القول عام وأنه يشمل كل قول والثاني تحديد المقصود بالقول في الآية وأنه القرآن أما في الثالث فقد أوضح أن الله إنما حمد استماع القرآن لا غيره مما تستهويه النفوس .

(١) ابن تيمية الاستقامة : ٢٢٧/١ - ٢٢٨ .

(٢) المرجع السابق : ٢٣٠/١ .

(٣) إبراهيم : (٢٦) .

(٤) الحجرات : (١٢) .

(٥) الزمر : (٥٥) .

(٦) الزمر : (٢٣) .

(٧) الزمر : (١٨)

وفي النقطة الرابعة رد عليهم من ناحية اعتقادهم وهو أنهم هم لا يقبلون ولا يمدحون كل قول فكيف يقولون بالتعميم وهم لا يفعلونه .

أما في النقطة الخامسة فقد أوضح أن الآية نفسها تدل على أن الممدوح هو من اتبع الأحسن لا من اتبع القول فقط وبهذا يظهر ضعف استدلالهم بالآية وإنها دليل عليهم لا لهم .

أما دليلهم الثاني من القرآن وهو قوله تعالى (فهم في روضة يحبون) (١) فقد استغراب ابن تيمية استدلالهم بها على فرض التسليم بأن المقصود به السماع وقال : إن تنعيم الله لعباده في الجنة بأشياء لا يعنى إباحتها في الدنيا فإن الله وعد أهل الجنة بأمور حرمها عليهم في الدنيا كالخمر والحريز وآنية الذهب والفضة كما في الحديث " من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة " (٢) وحديث " لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة " (٣) وجاء في الأثر " يقول الله يوم القيامة أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشياطين ؟ أدخلوهم واسمعوهم ——— تحميدى وتمجيدى والثناء علي وأخبروهم أنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٤) .

(١) الروم : (١٥) .

(٢) صحيح البخاري ٢١١٩/٥ .

(٣) صحيح البخاري : ٢٠٦٩/٥ .

(٤) الاستقامة : ٢٣٢/١ - ٢٣٣ ، الحديث أخرجه السيوطي في الدر المنثور ، ١٥٣/٥ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء : ١٥١/٣ .

فلو قلنا أن ما في الجنة مباح لنا في الدنيا لتساوت الدنيا
بالآخرة ، ولم يكن هناك منكر ذلك أنه في الجنة أنهار من عسل
مصفى وأنهار من خمر لذة للشاربين .. وفيها أواني الذهب والفضة
ولباس الحرير وفيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر مع أنه كما روى عن ابن عباس ليس في الدنيا من الآخرة
إلا الاسماء فما في الجنة أعد الله لعباده الصابرين المتقين في
الدنيا وما في النار أعد للظالمين المرفين كما في الحديث عن انس
ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "حفت النار
بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره" (١) فليحذر الذين يتخذون آيات
الله هزوا وليتقوا الله قبل أن يحل عليهم عذابه فإن الله يمهل
ولا يهمل .

ثم قال ابن تيمية : ولو قيل هذا السماع الحسن الموعود به
في الجنة هو لمن نزه مسامعه في الدنيا عن سماع الملهي لكان
هذا أشبه بالحق . (٢)

وقد أجاب عن الدليل الثالث المتضمن لقوله تعالى ﴿ يزيـد
في الخلق ما يشاء ﴾ (٣) بما مضمونه :
إن كون الشيء نعمه لا يقتضي استباحة استعماله في أي شيء بل إن ذلك
يقتضي حسن استعماله لأن النعم المستعمله في طاعة الله يحمد

(١) صحيح مسلم : ١٤٢/٨ .

(٢) ابن تيمية : الاستقامه : ٢٣٣/١ .

(٣) فالهـ : (١) .

صاحبها عليها ويكون ذلك شكرا لله ، بخلاف مالهو استعملت في معصية
 فإن هذا كفر بالنعمة والاستدلال على جواز استعمال هذه النعمة بمسا
 يريد الإنسان بمنزلة من استدل بإنعام الله بالسلطان والمال على أناس
 فاستعملوها بالظلم والفواحش والكبرياء ثم إن نعمة حسن الصوت يستعملها
 الكفار والفساق في أنواع الكفر والفسوق أكثر مما يستعملها المؤمنون
 في الإيمان لأن استمتاع الكفار بالأصوات المطربة أكثر من استمتاع
 المسلمين بها ، أما دعوى ذم الله للصوت الفظيع في قوله تعالى
 ﴿ إِن أَنْكَرَ الْأَصْوَاتَ لِمَوْتِ الْحَمِيرِ ﴾ (١) فهذا غلط لأن الله لا يذم ما خلق
 ولم يكن فعلا للعبد إنما يذم ما يفعله العبد باختياره من الأمور
 المنهى عنها ، أما كون صوته قبيحا فإنه لا يذم على ذلك لأن هذا ليس
 من فعله فالله ذم رفع الصوت الرفع المنكر كما يوجد ذلك في أهل
 الجفاء كما قال صلى الله عليه وسلم " الجفاء غلظ القلب في العذارين
 من أهل الوبر " (٢) وهم الصياحون صياحا منكرا كما قال تعالى ﴿ إِن
 الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ (٣) وقوله ﴿ لا ترفعوا
 أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول ﴾ (٤)
 فالله لم يذم الصوت وإنما أمر بخفضه . (٥)

(١) لقمان : (١٩) .

(٢) صحيح البخاري : ١٧٩/٤ .

(٣) الحجرات : (٤) .
 الحجرات : (٢) .

(٥) ابن تيمية الاستقامة : ٣٣١/١ - ٣٣٥ .

قلت إن استدلال القشيري بقوله تعالى ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ على أن حسن الصوت نعمة وأنه لا بأس من استعمال هذه النعمة استدلال في غير موضعه ودليل على تحمل الصوفية وانتحالهم لما يريـدون وإلا فالاية جاءت في الكلام عن الملائكة قال تعالى ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء﴾ إن الله على كل شيء قدير^(١) قال أكثر المفسرين يزيد في الخلق ما يشاء أي في خلق الملائكة أو فـي أجنتهم^(٢) وإن كان هناك قول إنه يعني حسن الصوت فلا يعني ذلك مدح له فمن كان صوته أو صورته حسنة أو قبيحة فهذا خلق الله لكن الذي يمدح من استعمال ذلك الصوت أو الصورة أو المال أو الجاه أو غير ذلك فيما يحب الله ويرضى كما مدح صلى الله عليه وسلم من حسن صوته بقراءة القرآن كابن مسعود وأبي موسى الأشعري وغيرهما أما من استعمال هذه النعمة فيها يضاد أوامر الله ورسوله فهو كفرعون الذي استعمل سلطانه في دعواه الباطلة وكما استعمل هامان المال الذي أعطاه الله في التجبر والتكبر وكما يفعل الإعلام المـسير من قبل أعداء الله في استعمال الأصوات الحسنه في الغناء والطرب الداعي للرذيلة والصور الجميلة في التجارة والتمثيل لإفلال عباد الله وفتنتهم .

(١) فاطر : (١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٣٢٠/١٤ .

ثانيا : مناقشة أدلتهم من السنة :

١ - أجاب شيخ الاسلام عن الدليل الأول وهو دعواهم قول الرسول وسماعه للنشيد بجواب عام ثم مفصل ومما قاله : إن مدار الحجج في هذا الباب إما على قياس فاسد وتشبيه الشيء بما ليس مثله ، وإما على جعل الخاص عاما ، وهو أيضا من القياس الفاسد ، وأما احتجاجهم بما ليس حجة ، أو بأحاديث موضوعة . (١)

أما الجواب المفصل فمطول ولكنه يدور على مايلي :

(أ) إبطال دعواهم إباحة سماع الألحان إذا لم يعتقد المستمع محظورا أو يسمع مذموما وإن هذا غلط لم يقل به سلف الأمة ولا أثمتها وإن من نقل عنهم سماع الغناء كبعض أهل المدينة لم يقل أحد منهم إنه مستحب في الدين ومختار في الشرع بينما يذهب بعض الصوفية إلى القول باستحباب السماع وبعضهم يوجبونه وقد يفضلونه على سماع القرآن . ويرى أن الإيمان لا يتم إلا به وقد يسعى لقتل منكروه . (٢)

(ب) فساد قياس سماع الغناء بسماع رسول الله صلى الله عليه وسلم للأشعار لأن الشعر له وضع خاص وحكم مستقل قال عليه السلام " ان من الشعر لحكمة " (٣) وقال " جاهدوا المشركين بأيديكم "

(١) ابن تيمية الاستقامة : ٢٩٦/١ .

(٢) المرجع السابق : ٢٣٥/١ - ٢٣٦ .

(٣) صحيح البخاري : ٢٢٧٩/٥ .

وَأَسْنَتَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ" (١) أما الحداء فقد ذكر الاتفاق على جوازه كما في حديث أنجشه وعامر بن الأكوع . (٢)

(ج) قياس سماع الشعر بغير الالحان على سماعه بالالحان غير صحيح لأن سماع الالحان مجردة فيه نزاع كبير كما أنه لو كان كل من الشعر والتلحين مباحا على أفراد لم يلزم الإباحة عند الاجتماع إلا بدليل لأن التركيب له خاصية يتعين الحكم بها . (٣)

(د) إن التطريب بالآلات الملهية محرم في السماع الذي أحبه الله وشرعه وهو سماع القرآن فكيف يكون قربه في السماع الذي لم يشرعه الله (٤) .

(هـ) حديث غناء الجاريتين في بيت عائشة ينظر إليه من عدة زوايا .

١- إن الغناء في أوقات الفرح للنساء والصبيان أمر جرت به السنة ، كما سبق الإشارة إليه فلا يجعل الخاص عاما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث " إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا " (٥) .

٢- إن الجاريتين إنما كانتا ترددان الشعر الذي تقاولت به الأنصار يوم بعثت وكانتا صغيرتين كما أن عائشة كانت صغيرة لذلك

(١) رواه أبو داود بإسناد صحيح سنن أبي داود ١٦/٣ ، كتاب الجهاد .

(٢) ابن تيمية الاستقامة : ٢٤٠/١ - ٢٤١ .

(٣) نفسه : ٢٤٣/١ .

(٤) نفسه : ٣١٧/١ .

(٥) نفسه : ٢٨٢/١ ، صحيح البخارى : ج: ٢ / ١٤٣ .

لم ينقل عن عائشة بعد بلوغها إلا ذم الغناء وقد كان ابن أخيه القاسم بن محمد (١) يذم الغناء ويمنع سماعه وقد أخذ العلم عنها . (٢)

٣ - يقول الإمام البغوي عندما نتكلم عن حديث عائشة في غناء الجاريتين فإن الشعر الذي كانتا تغنيانه في وصف الحرب والشجاعة وما في ذكره معونة في أمر الدين ، فأما الغناء يذكر الفواحش والإشهار بالحرام والمجاهرة بالمنكر فهو المحظور من الغناء وحاشاه أن يجري ذلك بحضرته عليه السلام فيغفل النكير له . (٣)

٤ - أما ابن القيم فيقول إن الحديث حجة من أكبر الحجج عليهم لأن الصديق سمى ذلك مزموراً للشيطان وأقر الرسول هذه التسمية . (٤)

٥ - موضوع الحداء ذكر ابن تيمية الاتفاق على جوازه وقال ابن القيم إن أعجب ما استدلوأ به من سماع الرسول صلى الله عليه وسلم للحداء المشتمل على الحق والتوحيد وهل حرم أحد مطلق الشعر قوله واستماعه . (٥)

وقد أطال العلماء رحمهم الله في الرد على من استدل بحديث الجاريتين وما سمعه الرسول صلى الله عليه وسلم على جواز استماع

(١) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثقة حافظ مات بالمدينة سنة ١٠٦هـ وهو أحد الفقهاء السبعة .

(٢) ابن الجوزي : تلبيس إبليس : ٢٣٨/ .

(٣) الإمام البغوي : شرح السنة : ٣٢٢/٤ .

(٤) ابن القيم : مدارج السالكين : ٥٣٠/١ .

(٥) المرجع نفسه .

الغناء كالمصوفيه وابن حزم وغيرهم وما ذكرنا - خلاصة لما قيل في

ذلك ولكننا نريد التنبيه إلى الحقائق التالية :

أ - إن صوت المرأة عورة وإنه يحرم عليها رفع صوتها لیسمعه الرجال
لغير ضرورة وأية ضرورة في الغناء .

ب - إن النصوص دلت على النهي عن قول الزور والسفيه ، والغناء في
الغالب إما قول زور أو غيبة بوصف شخص بالمدح أو الذم ونحو ذلك ثم
إن المسلم مسئول عن عمره فيما أفناه وهذا الوقت الذي سيفيعه
في استماع الغناء ماذا استفاد منه وماذا سيحجب عندما يستل
عنه ؟ نسأل الله التثبيت عند هذا المقام .

٢ - أما دليلهم الثاني والمتعلق بالنصوص الواردة بتحسين الصوت بالقرآن
ونحوه فيمكن الإجابة عليه بالاتي :

أ - إن هذه النصوص المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم والتي
فيها مدح للصوت الحسن بالقرآن والترغيب في هذا السماع يحتج
بها على المعارض عن السماع الشرعي الإيماني ولا يحتج بها على حسن
السماع البدعي الشركي حيث قرنت بالقرآن . (١)

ب - لا يسوغ أن يقرأ القرآن بالحن الغناء ولا أن يقرن به —
الألحان ما يقرن بالغناء من الآلات وغيرها لا عند من يقول بإباحة
السماع ولا من يحرمه بل المسلمون متفقون على الإنكار على قرن

(١) انظر : ابن تيمية الاستقامة // : ٣٧٧/١ .

تحسين الصوت بالقران بالالات المطربه ، فلو قال قائل : إن الرسول قال لابي موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود والرسول استمع لذلك الصوت فإذا جاز ذلك بغير الألحان فلا يتغير الحكم بأن يسمع بالالحن كان هذا منكراً من القول وزوراً باتفاق الناس . (١)

ج - إن المرجع في القرب والطاعات والديانات والمستحبات هو الكتاب والسنة فليس لأحد أن يبتدع ديناً لم يأذن به الله والكتاب والسنة ، وكلام السلف كلها تنهى عن هذا السماع فالدين الحق أن نعبد الله وحده لا شريك له بما أمرنا به على لسان رسوله كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٢) قال أخلصه وأصوبه قيل ، وما أخلصه وأصوبه ، فقال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وكذلك إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة . (٣) قال تعالى ﴿ فَمَنْ لَمْ يُسْتَجِيبْ لِكَفِّهِمْ أَنْ يُتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هدى من الله إِنْ أَلَّهِ لِيَهْدِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤)

(١) انظر ابن تيمية الاستقامة : ٢٤٦/١ .

(٢) الملك . آيه : (٢) .

(٣) ابن تيمية الاستقامة : ٢٤٨/١ .

(٤) القصص . آيه : (٥٠) .

د - الاحاديث التي استدلووا بها إنما تدل على فضل الصوت الحسن

بكتاب الله ولم تدل على فضيلته بالفناء ومن شبه هذا

بهذا فقد شبه الباطل بأعظم الحق وقد قال تعالى

﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن

مبين ﴾ (١). فكيف نشبه ما أمر الله بتلاوته وتحسينه بالصوت

بما لم يأمر بتحسين الصوت به بل إن قوله صلى الله عليه

وسلم " ^{ليس منا} من لم يتغن بالقرآن ^س " (٢) يقتضى أن التغني

المشروع إنما هو بالقرآن وأن من تغن بغيره فهو مذموم (٣).

و - إن التطريب بالآلات الملهية محرم في السماع المشروع الذى

أحبه الله وهو سماع القرآن فكيف يكون قربة في السماع الذى

لم يشرعه (٤).

ز - إن الله قد خلق الصوت الحسن وجعل النفوس تحبه وتتلذذ به

فإذا استغنينا بذلك في استماع ما أمرنا باستماعه وهو

القرآن وتحسين الصوت به كما أمرنا بذلك رسول الله كنا

قد استعملنا النعمة في الطاعة وكان هذا حسنا مأمورا به وهذا

(١) يس : آية : (٦٩) .

(٢) صحيح البخارى : ٧٢٧/١ .

(٣) ابن تيمية الاستقامة : ٢٩٠/١ - ٢٩١ .

(٤) ابن تيمية الاستقامة : ٣١٧/١ .

ماكانوا يستعملون الصوت الحسن به أما من قاس ذلك على سماع
الأشعار فهو كمن عدل الله بمخلوقاته في بعض ما يستحقه سبحانه
وقد قال صلى الله عليه وسلم " فضل القرآن على سائر الكلام
كفضل الله على خلقه " (١)

وقال خباب بن الارت : ياهناه تقرب الى الله بما استطعت
فلن يتقرب اليه بشيء أحب إليه من كلامه ، فإذا عدل بذلك
مانزه الله عند رسوله بقوله (وما علمناه الشعر وما ينبغي
لله) (٢) وحمله قرآن الشيطان كان قد عدل كلام الرحمن بكلام
الشيطان وجعل الشيطان عدلا للرحمن * ومن الناس من يتخذ من
دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا
لله (٣)

ج - من كان له صوت حسن فترك استعماله في التخث والغناء واستعمله
في تزيين كتاب الله والتغني به كان بهذا العمل أفضل مما
ليس كذلك فإنه يشاب على تلاوة كتاب الله فيكون في عمله معنى
الصلاة والزكاة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء
كأذنه لنبي حسن الصوت يتغنّى بالقرآن " (٤)

(١) سنن الدارمي : ٤٤١/٢ ، سبق تخريجه ص :

(٢) سورة يس : آية : ٦٩ .

(٣) سورة البقرة : آية : (١٦٥) .

(٤) ابن تيمية - الاستقامة : ٣٤٢/١ - ٣٤٦ .

ط - إن الاستدلال بهذه الأحاديث على تحسين الصوت بالغناء أفسد من قياس الربا على البيع إذ هو من باب تنظير الشعر بالقرآن قال تعالى ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾ وما ينبغي لهم وما يستطيعون ﴿ إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ (١) وقال ﴿ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ﴾ (٢) وهذا القياس مثل قياس المكاء والتمدية الذي ذمه الله على سماع القرآن الذي أمر الله به وقياس أئمة الصلاة بالمخنثين المغانبي وقياس للمؤذن الداعي للصلاة بحركة المستمعين للمكاء والتصديه (٣) . أقول وقد تبين لنا بحمد الله بطلان هذا الاستدلال من قبل الصوفية وقياسهم سماع القرآن بسماعهم المحدث ثم إن هناك نقطة مهمة وهي أن القرآن كما أمر الله تعالى يشرع لنا عند استماعه الإنصات والتمعن بمعاني الآيات قال تعالى ﴿ وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ﴾ (٤) وقال ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ (٥) وقال ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ (٦) الذي يؤكد من الآيات الدالة على احترام المؤمنين للقرآن وتأثرهم به ، أما السماع الصوفي فهو على العكس من ذلك فهو مهمة ورقص وطرب وزعيق وتعلق

(١) الشعراء : (٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢)

(٢) الحاقه : (٤١) .

(٣) الاستقامة : ٣٧٥/١ ، ٣٧٦ .

(٤) الاعراف : (٢٠٤) .

(٥) الانفال : (٢٠٤) .

(٦) النحل : (٩٨) .

بالمخلوق (الأولياء) لا بالخالق فستان بين الاثنين فستان بين سماع تحضره الملائكة كما ثبت في الصحيح أن أسيد بن حصير كان يقرأ سورة الكهف فرأى مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك السكينة تنزلت لسماع القرآن . (١)

بخلاف السماع الشيطاني الذي تحضره الشياطين كما في حديث الطبري الذي جاء فيه واجعل لي قرآنا قال قرآنك الشعر ، وحديث حذيفه رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اقرؤا القرآن بلحون العرب ، وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتاب وسيجيء بعدى قوم يرجعون القرآن ترجيع الغنساء والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتنونه قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم . (٢)

(١) صحيح البخاري : ١٩١٥/٤ .

(٢) المعجم الكبير للسيوطي .

٣ - أما استدلالهم بمفهوم المخالفة من حديث : صotan معلونان . . الحديث
فيجاب عليه بما يلي :

١- إن هذا الحديث من أجود ما يحتج به على تحريم الغناء كما
في اللفظ المشهور عن جابر (رضي الله عنه) عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال : " إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين :
صوت عند نعمه لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة لطم
خدود وشق جيوب ودعوى بدعوى الجاهلية " (١) حيث نهى عن الصوت
الذى يفعل عند النعمة وهو صوت الغناء (٢) .

٢- قولهم مفهوم الخطاب يقتضي إباحة غير هذا جوابه من وجهين :
(أ) أن اللفظ الذى ذكره الرسول يدل على مورد النزاع فإنه
صوت النعمة ولو لم تكن نعمة لكان تنبيها عليه فإنه اذا
نهى عن ذلك عند النعمة والإنسان معذور في ذلك فلأن ينهى عن
ذلك بدون ذلك أولى وأحرى //

(ب) «أن الآلات الملهية قد صح فيها مارواه البخارى تعليقا مجزوما
(ليكونن في امتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر
والمعازف) (٣)

٣ - يقول ابن القيم : إن منافاة النوح للصبر والغناء للشكر
أمر معلوم بالضرورة من الدين لا يمتري فيه إلا أبعد الناس من
العلم والإيمان فإن الشكر هو الاشتغال بطاعة الله لا بالصوت

(١) سنن الترمذى مع التحفة : ٣٦/٢ الطبعة الهندية .

(٢) (٣) ابن تيمية الاستقامة : ٢٩٢/١ - ٢٩٤ والحديث سبق تخريجه .

الأحمق الفاجر الذى هو للشيطان، ومن المعروف أن فتنة سماع الغناء
والمعارف أعظم من فتنة النوح بكثير والمشاهد والمعروف بالتجربة
أنه ماظهرت المعارف والآلات للهو في قوم واشتغلوا بها إلا سلب
الله عليهم العدو وبلو بالقحط والجذب وولاه سوء والعاقلة يتأمل
أحوال العالم . (١)

نعم إنه شيء غريب هذه الدعوى وهذا الاستدلال وهو أن النهي عن
اللهو إنما هو عند النعمة أما ماعداها فلا بأس بينما المتوقـع
هو العكس من ذلك كما أشار إلى هذا ابن تيمية ، حيث أن النعمة
مدعاة للهو أكثر من غيرها لأن الانسان إذا تنعم بنعمة طلب
المزيد وهكذا بخلاف من لم يكن كذلك ومن المعلوم أن المغنيين
والمغنيات أكثر ما يكونون عند التجار وأصحاب السلطان بخلاف الفقراء .
والعامه ، ثم إن الصوفية كثيرا ما يقرنون النعمة بالسماع فتجدهم
يأكلون ويشربون كثيرا عند سماعهم ، وهذا بخلاف السماع الشرعي
وهو القرآن الذى أكثر ما يتلوه الصوام والزهاد ، ومن هنا نقول
إن شمول النهي عن السماع عند غير النعمة من باب أولى لا العكس
كما يدعون والله أعلم .

(١) ابن القيم ، مدارج السالكين : ٥٣٦/١ .

ثالثاً : مناقشة أدلتهم من الآثار عند الصحابة والتابعين وغيرهم :

وقد اطل ابن تيمية في الرد عليهم في عدة مواضع وبعده أساليب ومن ذلك :

١ - أن النقل عن الأئمة يتضمن غلطاً بإشبات باطل وترك حق لأن المعروف عن أئمة السلف من الصحابة والتابعين ذم الغناء وإنكاره وكذلك من بعدهم من أئمة الإسلام في القرون الثلاثة حتى ذكر زكريا بن يحيى الساجي (١) أنهم متفقون على كراهيته إلا رجلاً ابراهيم بن سعيد من أهل المدينة وعبيدالله العنبري من أهل البصرة (٢) . وقال : في موضع آخر : إنه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة لا بالحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا بمصر والمغرب والعراق وخرسان من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع المكساة والتصديه لا بدف ولا بقضيب وإنما حدث هذا بعد ذلك في المائة الثانية فلما رآه الأئمة أنكروه . (٣)

٢ - المنقول عن ابن عمر باطل والمحفوظ عنه ذم للغناء ونهيه عنه وقد روى أنه مر على قوم محرمين وفيهم رجل يتغنى فقال : ألا سمع الله لكم ، ومر بجارية صغيرة تغنى فقال : لو ترك الشيطان أحدكم ترك

(١) هو زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن بحر البعري الساجي ولد سنة ٢٢٠ هـ وتوفي بالبصرة ٣٠٧ هـ فقيه ومحدث من كتبه علل الحديث . انظر الاعلام ٨١/٣ تذكرة الحفاظ ٧٠٩/٢ .

(٢) ابن تيمية ، الاستقامة : ٢٧٢/١ .

(٣) ابن تيمية ، مجموعة الرسائل الكبرى ٣٠٤/٢ .

هذه ، كما روى عنه نافع أنه سمع صوت زمار راع فوضع اصبعيه
في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول : يانافع اسمع
فأقول : نعم فيمض حتى قلت : لا فوضع يديه وأعاد راحلته إلى
الطريق وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع زمار راع
فمنع مثل هذا . (١)

٣ - ما يذكر عن عبدالله بن جعفر وأنه كان له جارية يسمع غناءها في
بيته ، فعبد الله بن جعفر ليس ممن يصلح أن يعارض قوله في الدين
(فضلا عن فعله) قول ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وجابر
وأمثالهم ثم الذي فعله كان في داره ولم يكن يجتمع عنده على ذلك
ولا يعده ديناً وطاعة بل هو عنده باطل . (٢)

٤ - النقل عن مالك وأهل الحجاز في هذا الباب من أسوأ الغلط فإن
أئمة أهل الحجاز على كراهيته وذمه ومالك نفسه لم يختلف قوله
وقول أصحابه في ذمه وكراهته بل هو من المبالغين في ذلك حتى
صنف أصحابه كتاباً في ذم الغناء وقال إنما يفعلونه عندنا الفساق ،
وما نقل من أنه ضرب بطبل وأنشد فهو مكذوب عليه . (٣)

٥ - إن مالكاً وأبا حنيفة والثوري ونحوهم أعظم كراهة وإنكاراً لذلك
من الشافعي وأحمد . (٤)

(١) رواه أحمد وأبو داود .

(٢) ابن تيمية : الاستقامة : ٢٨٢/١ - ٢٨٣ .

(٣) المرجع السابق : ٢٧٢/١ - ٢٧٣ .

(٤) مجموعة الرسائل الكبرى ٣١٢/٢ .

٦ - الإمام الشافعي : لم يختلف قوله في كراهته وقال : في كتاب آداب

القضاء : الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو

سفيه ترد شهادته .

أما السماع الديني المحدث فقال عنه الشافعي خلفت ببغداد شيئاً

أحدثه الزنادقة يسمونه التعبير يصدون به الناس عن القرآن .

ولم يختلف قول الشافعي في كراهته والنهي عنه للعوام والخواص

بل هو يرى أن السماع الديني أعظم من أن يقال فيه مكروه أو محرم

بل هو عنده مضاد للإيمان وشرع دين لم يأذن به الله . (١) .

أما ما حكى عن الشافعي في قصة إسماعيل بن عليه (٢) وهي أنه كان

يمشي معه وحينما جازوا بموضع يقول فيه أحد شيئاً قال : مل بنا

إليه ثم قال : أيطربك هذا ؟ فقلت : لا فقال : مالك حس ، فهذه

حكاية مكذوبة على الشافعي لأن إسماعيل بن عليه شيخ الشافعي

فلم يكن ممن يمشي معه وهو من أجلاء شيوخه وهو لم يرو عن الشافعي

بل الشافعي هو الذي روى عنه .

وحتى لو صحت لم يكن فيها إلا ما هو مدرك بالإحساس من أن الصوت

الطيب لذيق مطرب وهذا يشترك فيه جميع الناس وليس هذا من

أمر الدين . (٣) .

(١) الاستقامة : ٢٧٣/١ - ٢٧٩ .

(٢) الاستقامة : ٣٣٧/١ - ٣٣٨ .

(٣) ابن القيم : إغاثة اللفهان : ١٩٧/١ .

فاذا كان هذا قول الشافعي في التغيير وتعليله له بأنه يمد عن الدين وهو شعر يزهد في الدنيا يغنى به فيضرب بعض الحاضرين بقضيب على نطع أو مخده فليت شعري مايقول في سماع التعبير عنده كتفلة في بحر قد اشتمل على كل مفسدة (١).

٧ - سئل الإمام أحمد بن حنبل عن السماع فقال أكرهه وهو محدث قبل أن تجلس معهم قال لا ، وقال يزيد بن هارون ما يغبر إلا فاسق .

٨ - إن أكابر الشيوخ الصالحين كإبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض ومعروف الكرخي وأبي سليمان الداراني لم يحضروا السماع ومن حضره منهم تركه في آخر أمره كالحنيد ذلك أنه لم يرغب في السماع ويدعو إليه في الأصل ، إلا من هو متهم بالزندقة كابن الرواندي والفارابي وابن سينا وأمثالهم . (٢)

٩ - كان كثير من أهل المدينة يسمع الغناء وقد دخل معهم في ذلك بعض فقهاءهم ... وكان الناس يعيبون من استحل ذلك من أهل المدينة حتى قال الأوزاعي : من أخذ بقول أهل الكوفة في النبيذ وأهل مكة في المتعة والصرف وأهل المدينة في الغناء فقد جمع الشر كله . (٣)

هذه خلاصة موجزة لأراء الفقهاء المشهورين في السماع أوردها ابن تيمية ردا على مانسبه الصوفية لبعض الأئمة وقال في الختام

(١) ابن القيم إغاثة اللهفان ١/١٩٧ .

(٢) مجموعة الرسائل الكبرى ٢/٣٠٤ .

(٣) ابن تيمية الاستقامة : ١/١٧٤ .

وجماع ذلك أن ماوافق كتاب الله وسنة رسوله الثابتة وماكان عليه الصحابة فهو الحق الثابت وماخالف ذلك فهو باطل لأن الله يقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَمَنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (١)

وهذا هو الحد الفاصل وهو النقطة التي يجب الوقوف عندها فالطاعة لله ولرسوله وللشرع ولاعبه بقول فلان أو علان إذ لم يكن لديه دليل يستند إليه فكل يؤخذ من قوله ويرد لإقول رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٢)

رابعاً : الرد على ادلتهم العقلية :

تمثل الرد على دليلهم الأول بالنقاط التالية :

- ١ - انتقد ابن تيمية أسلوب الصوفية في عدم ثباتهم على مبدأ حيث تجدهم تارة يمدحون التقرب إلى الله بترك جنس الشهوات وتارة يجعلون ذلك دليلاً على حسنه وكونه من القربات ، وهذا تحكُّم بغير دليل والتحقيق أن العمل لا يمدح ولا يذم لمجرد كونه لذه ، بل إنما يمدح ماكان لله أطوع سواء كان فيه لذه أو مشقه فرب لذية هو طاعة ومنفعة ورب مشق هو طاعة ومنفعة ، ولو استدل بذلك على

(١) الضمائم : (٥٩) .

(٢) ابن تيمية الفتاوى : ٥٨٢/١١ .

تحسين الصوت بالقرآن لكان مناسباً فإن الاستعانة بجنس اللذات على جنس الطاعات مما جاءت به الشريعة كما يستعان بالاكل والشرب على العبادات قال تعالى ﴿كلوا من الطيبات واعملوا صالحا﴾ (١).

يقول ابن القيم : ثم إنه وقع من تحكيم الذوق من الفساد ما لا يعلمه إلا الله فإن الأذواق مختلفه في نفسها كثيرة الألوان متباينة أعظم التباين فكل طائفة لهم أذواق وأحوال ومواجيد بحسب اعتقادهم وهذا سيد أهل الأذواق والمواجيد عمر بن الخطاب لا يلتفت إلى ذوقه ووجده في شيء من أمور الدين حتى ينشد عنه الرجال والنساء والأعراب فإذا أخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء لم يلتفت إلى ذوقه بل يقول : لو لم نسمع بهذا لقضينا بغيره . (٢)

٢ - إن الله قد خلق الصوت الحسن وجعل النفوس تحبه وتلتذ به فإذا استعنا بذلك في استماع ما أمرنا باستماعه وهو القرآن كان هذا حسنا مأمورا به كما كان الصحابة يفعلونه أما أن يستدل بمجرد استلذاذ الإنسان للصوت الحسن أو ميل الطفل ونحوه إليه على استحبابه في الدين فهذا من أعظم الضلال . (٣)

٣ - إنهم قد يفضلون سماع الألحان على سماع القرآن إذا رأوا أن ما يحصل بسماع الألحان أكثر مما يحصل بسماع القرآن . (٤)

(١) المؤمنون : (٥١) . الاستقامه : ٣٤٠/١ .

(٢) ابن القيم : مدارج السالكين : ٥٣٢/١ .

(٣) انظر الاستقامه : ٣٤٢/١ - ٢٤٣ .

(٤) " المرجع نفسه : ٢٣٦/١ .

ثم إن اعتقادهم أن هذا السماع يحصل محبوب الله لذلك فهو محبوب له قول باطل لأن ما يهيج هذا السماع المبتدع من الحسب وحركة القلب ليس هو الذى يحبه الله ورسوله وكثيرا ما يكون في سماعهم ما يحرك وجدهم ومحبتهم لغير الله . (١)

٤ - كون الصوت الحسن فيه لذه هذا أمر حسى لكن ليس في ذلك ما يدل على كونه مباحا أو محرما بل المناسب لطريقه " الزهد " أن يستدل بـ كـون الشيء لذيذا مشتتهى على كونه مباحا لطريقة الزهد والتصرف . (٢)

٥ - إن محبة النفوس للصور والأصوات قد تكون عظيمة جدا فإذا جعل ذلك ديننا وسمى لله صار كالأنداد والطواغيت المحبوبة تديننا وعبادة بخلاف من أحب المحرمات مؤمنا بأنها من المحرمات فهذا أسهل . (٣)

٦ - إن الله شرع للامة ما أغناهم به عما لم يشرعه فقد شرع سماع القرآن في الصلاة وغيرها مجتمعين ومنفردين حتى كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ والباقيون يسمعون وهذا السماع هو ما يوجب للمستمع الرغبة على الطاعة وتذكر ما أعد الله للمتقين لاسماع الألحان والأصوات المطربة التى تشير

(١) انظر الاستقامة ٣ : ٢٦١/١ - ٢٦٢ .

(٢) نفسه : ٣٣٨/١ - ٣٣٩ .

(٣) نفسه : ٣٤٨/١ .

الغرائز وتبعد عن الآخرة وأهوالها . (١)

٧ - سمع ابن عقيل بعض الصوفية يقولون إن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حداها الحادى إلى الله بالأناشيد فقال ابن عقيل لإكرامه لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله قال (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) (٢) وما قال وإذا أنشدت عليهم القمائد طربتهاً أما تحريك الطباع بالآلحان فقاطع عن الله والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق مما يتجدد عنه فتنة " . (٣)

أما الدليل العقلي الثاني وهو أن السماع يحصل المحبوب . فقد أجاب ابن تيمية عنه بما يلى :

أ - إن الشيطان دخل على النساك من بابي السمع والبصر فتوسعوا في النظر إلى الصور المنهى عنها وفي استماع الأقوال والأصوات التى نهوا عن استماعها وزين لهم الشيطان هذا العمل حتى جعلوا ذلك عبادة وقربة إلى الله . (٤) وهذا بخلاف من نقل عنهم استماع الغناء من أهل المدينة وغيرهم فإنه لم ينقل عن أحد منهم أن هذا العمل محبوب لله بل كان فاعله منهم يرى كراهته . (٥)

(١) ابن تيمية الاستقامة : ٣٠٢/١ .

(٢) الأنفال : (٢) .

(٣) انظر ابن الجوزى تلبيس إبليس : ٢٤٦/ .

(٤) ابن تيمية الاستقامة : ٢١٨/١ .

(٥) نفسه : ٢٣٦/١ .

ب - إن هذه الدعوى مبنية على أصلين هما :

١ - معرفة ما يحب الله .

٢ - أن السماع يحصل محبوب الله خالصا أو راحيا .

ومعروف أن المرجع في القرب والطاعات والمستحبات للشرعية وليس لأحد أن يبتدع ديناً لم يأذن به الله وكل ما في الكتاب والسنة وكلام السلف والمشايخ يحض على اتباع الشرع والنهي عن مذهب وهو الابتداع . (١) قال تعالى ﴿ أرأيت من اتخذ الهه هواه أفانت تكون عليه وكيلا ﴾ (٢)

فالسماع المحدث يحرك الهوى ولا يقرب محبة الله ، وقال تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) ﴿ (٣) فالشريعة تتضمن ما أمر الله به وكل حب وذوق لا تشهد له الشريعة فهو من أهواء الذين لا يعلمون . (٤) -

٣ - إن هذه الدعوة باطلة وكثير من هؤلاء حصل لهم الضلال والغواية من هذه الجهة فظنوا أن السماع يثير محبة الله ومحبة الله هي أصل الإيمان الذي هو عمل القلب وبكمالها يكمل ، فيقال لهم أن ما يهيج هذا السماع المبتدع من الحب وحركة القلب ليس هو الذي يحبه الله ورسوله بل اشتماله على ما لا يحبه الله وعلى ما يبغضه أكثر من اشتماله على ما يحبه ، وقد بين الله في

(١) ابن تيمية "الاستقامة" : ٢٤٧/١ - ٢٤٨ .

(٢) الفرقان : (٤٣) .

(٣) الجاثية : (١٨)

(٤) ابن تيمية : الاستقامة : ٢٥٣/١ .

في كتابه محبته وذكر موجبها وعلاماتها وهذا السماع مضاف
لذلك ومنافياً له قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحبيبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ (١).

٤ - إن ما أظهره من رأى الفاسد وهو أن يحب الله مالم يأمر
بمحبته هو الذى سلط المنافق منهم على أن يجعل ذلك ذريعة إلى
الكبائر ومن جعل مالم يأمر الله بمحبته محبوباً لله فقد شرع
ديناً لم يأذن به الله وهو مبدأ الشرك فإن محبة النفوس للصور
والأصوات الجميلة قد تكون عظيمة جداً فإذا جعل ذلك ديناً وسمى لله
صار كالانداد والطواغيت المحبوبة تديننا وعبادة (٢).

٥ - هناك ثلاثة أصول لأهل محبة الله وهي :

(أ) إخلاص دينهم لله كما قال تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من
دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حُباً
لله ﴾ (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم "لوالذى نفسى بيده لا يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من والده ووالده والناس اجمعين" (٤)
ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تحمل الا لمن احب الله

(١) ال عمران : (٣١) - الاستقامة : ٢٦٠/١ - ٢٦١ .

(٢) الاستقامة : ٣٤٨/١ .

(٣) البقرة : (١٦٥) .

(٤) صحيح البخارى ١٤/١ .

وأخلص دينه لله . (١)

(ب) متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ﴿ قل ان

كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ (٢)

(ج) حب الجهاد وقال تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا

بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم

في سبيل الله ﴾ (٣)

وعامة أهل السماع مقصرون في الأصول الثلاثة فغالبيتهم فيهم من

التفريط بالجهاد ومتابعة الرسول (صلى الله عليه وسلم وفي الإخلاص

لله الشيء الكثير . (٤)

٦ - جاء في الحديث ما تقرب العباد إلى الله بشيء أحب إليه مما

خرج منه يعني القرآن وهذا محفوظ عند خباب بن الارت فإذا عدل

بذلك مانزه الله عنه رسوله ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ (٥)

وجعله قرآن الشيطان كان قد عدل كلام الرحمن بكلام الشيطان (٦) .

٧ - ان إجماع انعقد على أن السماع ليس بمستحب وإنما غايته الإباحة

فادعاء الاستحباب خروج عن الإجماع . (٧)

(١) الاستقامة : ٢٦٢/١ .

(٢) ال عمران : (٣١) .

(٣) الحجرات : (١٥) .

(٤) الاستقامة : ٢٦٤/١ - ٢٦٦ .

(٥) ييس : (٦٩)

(٦) ابن الجوزي تلبيس ابليس : ٢٤٩ .

(٦) الاستقامة : ٣٤٦/١

ولا أدري ماهو هذا الذي يؤدي إلى محبوب الله أهو الجهل
ورفع الصوت بالمكاء والتصدية أم النظر إلى الصور الحميلة
أم التعلق بغير الله أم ماذا ؟

أما دليلهم العقلي الأخير والمتعلق بمقارنة صوت الإنسان
بصوت الطيور فمردود لامور منها :

- ١ - ليس في دين الله محبة شيء لحسنه فقط فإن مجرد الحسن لا يشيب
الله عليه ولا يعاقب وإلا لكان يوسف عليه السلام لمجرد حسنه
أفضل من غيره من الأنبياء فأكرم الخلق عند الله اتقاهم . (١)
- ٢ - إذا أطلقنا قبول الصوت الحسن المستلذ فهذا أمر خطير لأنه
يستلزم أن تكون الأصوات الطيبة التي يستعملها المشركون وأهل
الكتاب في الاستعانة على كفرهم قد خاطب الله بها عباده وجعلهم
متعبدين بها وكذلك الأصوات التي يستفز بها الشيطان بني آدم
ومن ذلك الأصوات المجردة كأصوات الطيور والآلات مما لأحروف لها
فكثيرا ماتجرك هذه الأصوات ما يناسبها من فرح أو حزن أو غضب
أو شوق كقول بعضهم .

| | |
|------------------------|-----------------------------|
| رب ورقاء هتوف في الضحى | صدحت في فتن عن فتن |
| ربما أبكى فلا أفهمها | وهي تبكي فلا تفهمني |
| غير أنى بالجواء أعرفها | وهي أيضا بالجواء تعرفني (٢) |

(١) الاستقامة : ٣٤٦/١ .

(٢) نفسه : ٣٨٧/١ - ٣٨٩ .

٢ - إن الاستدلال بإباحة أصوات الطيور اللذيذة من جنس قياس الذين قالوا
 (إنما الببع مثل الربا) وأين صوت الطيور إلى نغمات النساء والمرحان
 والأوتار والعيان وأين الفتنة بما هو من جنسك أي الفتنة بصوت القمرى
 والبلبل وغيرهما من الطيور . (١)

٤ - إن التحرك بمجرد الصوت لم يأت به الشرع ولا عقلاء الناس يأمرون
 به بل يعدون ذلك من قلة العقل وضعف الرأى كالذى يفرع عند مجرد
 الاصوات المزعجة والمرعبه . (٢)

(١) ابن تيميه : مجموعة الرسائل الكبرى : ٢/ ٣٢٠ .

(٢) ابن تيميه : الاستقامة^٣ : ١/ ٣٧٣ .

امادعواهم أن من أنكر السماع مطلقا فقد أنكر على سبعين صديقا يحاب عنه :

١ - بأن الذين أنكروا ذلك أكثر منهم بكثير وهم أعظم علما وأرفع درجة ولو كان الأمر بالعكس كان أولى وهو أن من جعل السماع المحدث مشروعا فقد خالف الصديقين من هذه الأمة لأن الله عصم هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة ولم يعصم أحادها من الخطأ . (١)

أما الاحتجاج بفعل طائفة من الصديقين في مسألة نازع فيها أكثر منهم فباطل بل لو كان المنازع لهم أقل منهم عددا وأدنى منزلة لم تكن الحجة مع أحدهما إلا بكتاب الله وسنة رسوله وبذلك أمرت الأمة قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول — وان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ . (٢)

فإذا نهى الله ورسوله عن شيء لم يكن لاحد أن يقول هذا إنكار على كذا وكذا رجلا من السابقين والتابعين فإن هذا الإنكار كان من نظرائهم وممن هو فوقهم أو قريبا منهم وعند التنازع فالمرد إلى الله ورسوله . (٣)

٢ - إنه إنما ينكر أولياء الله على أولياء الله لأن المنكرين أكثر منهم عددا وأعظم عند الله . وعند المؤمنين وقد تقاتل أولياء الله في صفين بالسيوف ولما سار بعضهم إلى بعض كان يقال : سار أهل الجنة إلى أهل الجنة وكون ولي الله يرتكب المكروه والمحظور

(١) الاستقامة : ٢٩٩/١ .

(٢) النساء : (٥٩) .

(٣) ابن تيمية : الاستقامة : ٣٠٠/١ .

متأولاً لا عاصياً لا يمنع ذلك الإنكار عليه . (١)

٣ - إن هذه حجة عامية وإلا فهيها أن يكون أحد من أولياء الله المتقدمين
حضر هذا السماع المحدث المبتدع المشتمل على هذه الهيئة التي
تفتن القلوب وإنما السماع الذي اختلف فيه مشايخ القوم اجتماعهم
في مكان خال من الأغبار يذكرون الله ويتلون شيئاً من القرآن ثم
يقوم بينهم من يينشدهم شيئاً من الأشعار المزهده في الدنيا
المرغبه في لقاء الله والدار الآخرة فهذا السماع هو الذي اختلف فيه
(٢)
القوم لا سماع المكاء والتصديّة والمعارف وعشق الصور وذكر محاسنها .

(١) ابن تيمية ، مجموعة الرسائل الكبرى : ٢٢٠/٢

(٢) ابن القيم ، مدارج السالكين : ٥٣٧/١ .

* المبحث الثاني *

- المقارنة بين السماع الشرعي والسماع الصوفي -

- ١ - إن السماع الشرعي يوجب العلم والإيمان لاشتماله على ما أمر الله به ونهى عنه كما جاء في القرآن والسنة النبوية المطهرة في حين أن السماع الصوفي دائر بين الكفر والفسوق والعصيان والنفاق لذلك كان اعراب الناس أهل البوادي من العرب والترك وغيرهم أكثر استعمالاً له من أهل القرى . (١)
- ٢ - السماع الشرعي هو سماع أهل الإيمان وتحضره الملائكة التي تنزل عند سماع القرآن وذكر الله كما في الحديث ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده (٢) . وكما أنه يجلب الملائكة فهو يطرد الشياطين ، كما وردت في ذلك الآثار الكثيرة وهذا على عكس السماع البدعي الذي تحضره الشياطين وتظهر آثارهم على أهله حتى أن كثيراً منهم يغلب عليه الوجد فيصيح كما يصيح المصروع ويتكلمون به على السنتهم . (٣)

(١) ابن تيمية الاستقامة ، ٣٠٩/١ ، ٣١٢

(٢) صحيح مسلم : ٢٠٧٤/٤ .

(٣) الاستقامة : ٣١٢/١ .

٣ - وفي السماع الشرعي ينهى عن التطريب وآلات اللهو وإيقاد النار ورفع الصوت ويؤمر بالسكينة والوقار قال تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول ﴿١﴾ وقال (واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) ﴿٢﴾ وقال (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) ﴿٣﴾ لأن رفع الصوت في الذكر المشروع لا يجوز إلا ما جاءت به السنة كالإذان والتلبية ونحوهما .

أما السماع الصوفي فهو على نقیض ذلك ففيه تستعمل آلات الطرب واللهو ويكثر إيقاد النار وترتفع الأصوات ، بالقول المنكر فيسمع المعقق والتصفیق والصياح كما يجتمعون على أنواع المطاعم والمشارب . ﴿٤﴾

٤ - كثير ما يبتلى أهل السماع البدعي بشعبة من حال النصارى من الغلو في الدين واتباع أهواء قوم قد ضلوا من قبل قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْشَ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقْضِ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيُحْدُونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ﴿٥﴾ . وهذا بخلاف أهل السماع

(١) الاعراف : (٤٠٤-٤٠٥)

(٢) لقمان : (١٩) .

(٣) مريم : (٣) .

(٤) ابن تيمية الاستقامة : ٣١٨/١ - ٣٢٢

(٥) الزخرف : ٣٦ - ٣٧ .

الشرعي الذين قال الله عنهم (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم
وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) (١).

٥ - السماع البدعي هو قرآن الشيطان كما جاء في الطبري عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قال : يارب اجعل لـي
قرآناً قال قرآنك الشعر قال اجعل لي مؤذناً قال : مؤذذك المزممار
... الحديث . (٢)

بخلاف السماع الشرعي فإن أعظمه القرآن الكريم ثم الحديث الشريف
وما يدخل في معناه من تفسير وذكر ونحوه . (٣)

٦ - إن السماع الشرعي هو أصل الإيمان لأن الله بعث محمداً صلى الله عليه
وسلم إلى الخلق ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع ما بلغ وأمن به واتبعه
اهتدى وأفلح ومن اعرض عن ذلك ضل وشقى ، وأما السماع البدعي فهو
شبيه سماع المشركين الذي قال الله فيهم * وما كان صلاتهم عند
البيت إلا مكاء وتمديه * (٤) .

٧ - إن الله مدح أهل السماع والوجد لما أنزله ولم يشن على مطلق
السماع قال الله تعالى * إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت
قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون * (٥)
في حين أنه قال * ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد
كل أولئك كان عنه مسئولا * (٦)

(٢) الجامع الكبير للسيوطي : ٦٠٢/١ .

(٣) ابن تيمية الاستقامة . ٣٧٦/١ .

(٤) مجموعة الرسائل الكبرى / ٢٩٩ - والاية (٣٥) سورة الانفال .

(١)، (٥) الانفال : (٢)

(٦) سورة الاسراء : اية : ٣٦ .

- * المبحث الثالث * -

- توجيـهـه ابن تيمية لأقوال مشايخ الصوفية -

١ - استعرض شيخ الإسلام كثيراً من أقوال مشايخ الصوفية في السماع وكما هي عاداته حاول إيجاد المخرج وفرض الاحتمال الأسلم لها من باب حمل كلامهم على الأحسن والابتعاد عن اتهامهم، مما قد يكونون منه براءً ومن أساليبه رحمه الله في هذا المجال ما يلي :

أ - يقول (وما أعلم أحداً من المشايخ المقبولين يؤثر عنه في السماع نوع رخصة وحمد إلا ويؤثر عنه الذم والمنع ، ذلك أنه لا يوجد ممن لطفي الإمامة حديثي من ذلك إلا وعنه ما يخالف ذلك وهذا من رحمة الله بالمالحين حيث يرددهم في آخر أمرهم إلى الحق الذي بعث به رسوله ولا يجعلهم مصرين على ما يخالف الديـن المشروع (١) كما قال تعالى ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يملأوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ (٢)

ب - نقل كلام كثير من مشايخ الصوفية حول وجوب الالتزام بالكتاب والسنة كقول الجنيد : الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من

(١) ابن تيمية الاستقامة : ٤٠٥/١ .

(٢) آل عمران : (١٣٥) .

اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكقوله أيضا : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذه الأمور لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة .

وكقول أبي عثمان النيسابوري : من أمر السنه على نفسه قولا وفعلنا نطق بالحكمه ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة .
وقول **أبي الحسن النوري** : من رأيته يدعى مع الله حالاً تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقرب منه . (١)

ج - إن القائلين بالسماع غلطوا بسبب أخذهم بالدليل العام ليجعلوه خاصا أو أنهم يجنحون إلى المعاني التي دلت على الإباحة أو الاستحباب في نوع من السماع فيجعلون ذلك متناولا لسماع المكاء والتصديه . (٢)

د - أشار رحمه الله إلى كثرة الكذب على المشايخ المشهورين وقال إن القشيري مع علمه وروايته بالإسناد ففي رسالته قطعة كبيرة من المكذوبات التي لا ينزع فيها من له أدنى معرفة بحقيقة المنقول عنهم . (٣)

(١) ابن تيمية الاستقامة : ٢٤٩/١ - ٢٥١ .

(٢) نفسه : ٣٤٣/١ .

(٣) نفسه : ٣٨٣/١ - ٣٨٤ .

هـ - أن يكون من حضر السماع من المشايخ أحد المتأولين في ذلك
وان قوله فيه كقول شيوخ الكوفة وعلمائها في النبيذ الذي
استحلوه وعلماء مكة فيما استحلوه من المتعة (١).

٢ - أما الردود التفصيلية فقد ذكر جملة من أقوال المشايخ ورد عليها
بالتفصيل نورد نماذج ملخصة لها :

(١) لما استعرض أقوال الجنيد قال : إن مذهبه (أى الجنيد) في السماع
كراهية التكلف لحضوره والاجتماع عليه لذلك فهو يفرق بين السماع
صدفه والاستماع قصدا ، ومن أقواله في هذا : السماع فتنة لمن
طلبه ترويح لمن صادفه / وقوله : إذا رأيت المريد يحب السماع
فاعلم أن فيه بقية من البطالة / ويشير ابن تيمية إلى أن هاتين
المقالتين مفسرتين لما ورد مجملا عن الجنيد وهما اصح في الإسناد
كما نسب للجنيد قوله : الرحمة تنزل على الفقراء في ثلاثة مواطن
عند السماع ، وعند الطعام ، وعند مجارة العلم .
قال ابن تيمية : إنه ربما قصد السماع المشروع فإن الرحمة تنزل
على أهله قال تعالى ﴿ واذا قرأ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ﴾
لعلكم ترحمون * (٢)

(١) الاستقامة : ٣٨٥/١ .

(٢) الأعراف : ٢٠٤ .

وحديث " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة " (١)

وقد روى بعض الناس أن الجنيد كان يحضر السماع في أول عمره ثم تركه وحضوره فعل وقد قال بعض السلف أضعف العلم الرؤيه وهو قول رأيته فلانا يفعل لأن الفعل قد يكون بموجب العادة والموافقة وقد يفعل نسيانا ، وقد يفعل ولا يعلم أنه ذنب وليس احداً معصوماً عن فعل الذنب ، أو يكون له في المسألة قولان . (٢)

(٢) ما نقل عن الشبلي من أن ظاهره فتنة وباطنه عبرة هذا القول مرسل لم يسند قاله أعلم به كما أن الشبلي ونحوه لا يعتد بقولهم لأنه تعرض له احوالا واحيانا يزول عقله ويختلط عليه ثم أن الجنيد شيخه وهو الامام المتبع وهو أفضل وأجل فقله أولى من قول الشبلي . (٣)

(٣) ما جاء عن رويم من أن الصوفية عند السماع يشهدون المعاني التي تعذب عن غيرهم ، وهذا وصف لما يعترهم من الحال وليس في ذلك .

مدح ولا ذم لأن المرء قد يكون محبا لله صادقا في ذلك . لكن يكون ما يشهده من المعاني السارة خيالات لاحقيقة لها فيفرح بها ويكون فرحه لغير الحق وذلك مذموم . (٤)

(١) الاستقامة : ٣٨٠/١ - ٣٩٦ (الحديث) سبق تخريجه .

(٢) نفسه : ٣٩٦/١ - ٤٠٢

(٣) نفسه : ٤٠٤/١ .

(٤) نفسه : ٤١٤/١ - ٤١٥

(٤) أما ما نقل عن أبي يعلى الروذباري كقوله : ليتنا تخلصنا منه /

يعنى السماع / رأساً برأس ، فهذا يدل على ما قدمنا من أن حضور

الشيخ السماع لا يدل على مذهبه واعتقاده فإنه يتمنى ألا يكون عليه

ولا له ولو كان من جنس المستحبات لم يقل ذلك فيه . (١)

(٥) إذا صحت الأقوال المنسوبة لمشايخ الصوفية في السماع واحسنها

الظن كما أن محمولاً على ما يسمعون من القصائد الزهدية فإنها توجب

الرقّة والبكاء ويدل على ذلك أنه لم يكن ينشد في زمن الجنيد

مثل ما ينشد اليوم إلا أن بعض المتأخرين حمل كلام الجنيد على كل

ما يقال . (٢)

(١) ابن تيمية الاستقامة : ٤١١/١ .

(٢) ابن الحوزي : تلبيس إبليس : ٢٤٩/ .

﴿ الخاتمة ﴾

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على من بعث
بالشريعة الخاتمة التى حوت محاسن الشرائع السابقة ... أما بعد :

فإن الدارس لأحوال الصوفية وعقائدهم وأفكارهم يجد العجب العجيب
خاصة إذا كان ممن أنعم الله عليه فعاش في هذه البلاد التى طهرها الله
من شرور وآثام هذه الفئة خاصة بعد دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب
- رحمه الله - فتجد الواحد منا حينما يقرأ عن الصوفية وعقائدهم
لا يكاد يصدق أن هذا موجود في دنيا الواقع لكن الحقيقة المرة أن الموجود
أعظم من المكتوب في كثير من بلدان المسلمين والمسيحية الكبرى تبني
طائفة كبيرة من المحسوبين على الإسلام ومن أعلامه لتلك الفئة أغنى
الصوفية والدفاع عنهم أما جهلا وأما لمنافع دينيوية يحاولون الحصول
عليها وإذا أراد المصلحون دعوتهم إلى الحق احتجوا ببعض آراء وأقوال
أعلام الفكر السلفي في مشايخ وأقطاب الصوفية السابقين ، أمثال الجنيد
وذي النون المصري وغيرهم حيث كان ابن الجوزي وابن تيمية وابن القيم
وغيرهم يذكرونهم بالخير والعلاج ويقولون إنهم بعيدون عن كثير من أخطاء
الصوفية وإن مانسب إليهم يحتمل أنه خطأ في اجتهادهم أو أنه لا يصح
نسبته إليهم ونحو ذلك من التماس الأعذار لهم .

على أن هؤلاء الأعلام لم يقبلوا أو يدافعوا عن أى قول لهؤلاء المشايخ
بل ردوا وأبطلوا أى قول ظاهر البطلان غير محتمل للتأويل .

ومن خلال استعراضنا لأقوال الصوفية في السماع تبين لنا أمر هام
في هذه البدعة ألا وهو اعتبارهم أن أمر السماع أمر تعبدي وأنه وسيلة
لمناجاة الله وهذا أخطر ما في هذه القضية وهو ما رد عليه ابن تيمية
ردا واضحا لا لبس فيه .

وفي الختام نرى أن هذه القضية من الأهمية بمكان وأنه لا بد من
دراستها تفصيلا ومن جوانب متعددة ذلك أننا اقتصرنا في الأغلب على
أفكار وآراء الصوفية في هذه القضية من خلال الجانب المعتدل من
آرائهم وفي العصور السابقة ولا بد لاستكمال هذا الموضوع من دراسة
الفكر الصوفي المعاصر في هذه القضية وآراء المعاصرين في ذلك على
اختلاف اتجاهاتهم يسر الله لهذا الجانب ولغيره من جوانب الضلال
الصوفي الذي خُدع المسلمون به من يكشفه ويوضح الحق فيه والله المستعان
وعليه التكلان وعلى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

*

*

*

- فهرس المراجع -

| اسم الكتاب | المؤلف | تحقيق وتعليق | الطبعة |
|--|-------------------|-------------------|--|
| ١ - ابن تيمية، بطل الاصلاح الدينى . | محمود الاستنولي | _____ | الطبعة الثانية ١٩٨٣/١٤٠٣ م |
| ٢ - ابن تيمية والتصوف | د. مصطفى حلمي | _____ | دار الدعوة للطباعة والنشر دار الفكر العربى |
| ٣ - ابن تيمية حياته وعصره | أبو زهره | _____ | دار الفكر العربى |
| ٤ - أبو حامد الغزالي والتصوف | عبد الرحمن ومشقيه | _____ | الطبعة الاولى ١٩٨٦/١٤٠٦ م |
| ٥ - احياء علوم الدين | الغزالي | _____ | الطبعة الاولى، ١٣٩٥ دار الفكر - بيروت |
| ٦ - إغاثة اللفان من معائد الشيطان | ابن القيم | _____ | محمد أنور البلتاحي الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ |
| ٧ - الاستقامة | ابن تيمية | د. محمد رشاد سالم | " " ١٤٠٣ هـ |
| ٨ - الاصابة فى تمييز الصحابه | ابن حجر العسقلانى | _____ | جامعة الامام ١٣٥٨ هـ |
| ٩ - الاعلام بأن العرف والفناء حرام | أبو بكر الجزائري | _____ | الطبعة الاولى |
| ١٠ - الاعلام | خير الدين الزركلي | _____ | الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ |
| ١١ - الاعلام العلية فى مناقب ابن تيمية . | البرزاز | _____ | زهير الشاويش بيروت ١٤٠٠ هـ |
| ١٢ - الإمام القشيري: سيرته وآثاره - مذاهبه فى التصوف | إبراهيم بسيونى | _____ | مطبوعات مجمع البحوث الاسلاميه ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م |

| اسم الكتاب | المؤلف | تحقيق وتعليق | الطبعة |
|------------------------------|---------------|--------------------------------|--|
| ١٣ - تاريخ التراث العربي | فؤاد سزكين | ترجمة د. محمد حجازي | ١٤٠٣هـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية |
| ١٤ - تحريم النرد والشطرنج | الآجرى | محمد سعيد عمر | الطبعة الأولى |
| ١٥ - التصوف والاتجاه السلفى | د. مصطفى حلمي | إدريس | ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م |
| ١٦ - التصوف بين الحق والباطل | محمد شقفه | دار الدعوة للنشر | الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ |
| ١٧ - التصوف المنشأ والمصادر | إحسان الهسي | الطبعة الأولى | ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م |
| ١٨ - تقريب التهذيب | العسقلاني | د. عبد الوهاب عبد اللطيف | الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ |
| ١٩ - تلبيس إبليس | ابن الجوزي | محمود الاستنابولي | ١٣٩٦هـ |
| ٢٠ - تهذيب التهذيب | العسقلاني | ١٣٢٧هـ | |
| ٢١ - الجامع لأحكام القرآن | القرطبي | الطبعة الأولى | ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م |
| ٢٢ - حليه الأولياء | ابو نعيم | دار الكتاب العربي/بيروت | |
| ٢٣ - دائرة المعارف الإسلامية | مجموعة مؤلفين | ترجمة/ إبراهيم خورشيد | طبعة القاهرة |
| ٢٤ - الرسالة القشيرية | القشيري | د. عبد الحليم محمود ومحمد شريف | دار الكتب الحديثه |

| اسم الكتاب | المؤلف | تحقيق وتعليق | الطبعة |
|---|---------------------|---------------------------------|--|
| ٢٥ - روضة الطالبين وعمدة السالكين | الفرالى | تصحيح محمد بخيت | دار النهضة الحديثة بيروت |
| ٢٦ - زاد المعاد فى هدى خير العباد | ابن القيم | سيد شعيب وعبداله سادر الارنؤوطي | الطبعة ١٤٠٧/١٤ هـ |
| ٢٧ - الزواجر عن اقتراف الكبائر | الهيثمى | _____ | مطبعة حجازى بالقاهرة ١٣٥٤ هـ |
| ٢٨ - سنن ابن ماجه | القزويني | محمد فؤاد عبد الباقي | المكتبة السلفية بالمدينة |
| ٢٩ - سنن أبي داود | السجستاني | محمد محي الدين عبد الحميد | الطبعة الثانية بيروت |
| ٣٠ - سنن الترمذى | الترمذى | _____ | القاهرة ١٣٨٣ هـ |
| ٣١ - سنن الدارمي | الدارمي | _____ | مطابع دمشق ١٣٤٩ هـ |
| ٣٢ - سنن النسائى | _____ | _____ | _____ |
| ٣٣ - شيخ الإسلام ابن تيمية جهاده ودعوته وعقيدته | احمد قطان ومحمد زين | _____ | الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ |
| ٣٤ - شيخ الإسلام سيرته وأخباره عند المؤرخين | صلاح الدين المنجد | _____ | الطبعة الاولى - ١٩٧٦ دار الكتاب الحديث بيروت |
| ٣٥ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب | ابن العماد الحنبلي | _____ | ١٣٥٠ هـ - المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع بيروت |
| ٣٦ - شرح السنه | الامام البغوى | شعيب الارنؤوط | الطبعة ١٤٠٠/١٩٨٠ م |
| | | زهير الشاويش | |

| اسم الكتاب | المؤلف | تحقيق وتعليق | الطبعة |
|---|----------------------------------|----------------------|---|
| ٣٧ - صحيح البخارى | البخارى | _____ | المطبعة الأميرية |
| ٣٨ - صحيح البخارى | البخارى | د. مصطفى ديب البنا | الإمامة للطباعة والنشر دمشق - "الطبعة الاولى" ١٤٠٧ هـ . |
| ٣٩ - صحيح مسلم صحيح مسلم بشرح النووي | مسلم القشيري = = | _____ | دار الكتب العلمية بيروت |
| ٤٠ - الصوفية معتقداً ومسلكا | د. صابر طعيمه | _____ | الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ |
| ٤١ - الصوفية نشأتها وتطورها | محمد العبدى / طارق عبد الحليم | _____ | الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ دار الارقم بالكويت |
| ٤٢ - طبقات الصوفية | ابى عبد الرحمن السلمى | نور الدين شريبه | المكتب العربى بالكويت |
| ٤٣ - الفتاوى | ابن تيميه | _____ | الرياض الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ |
| ٤٤ - فتح الباري | العسقلاني | عبد العزيز بن باز | رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد |
| ٤٥ - الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة | عبد الرحمن عبد الخالق | _____ | مكتبة ابن تيميه بالكويت ، الطبعة الثانية |
| ٤٦ - القاموس المحيط | الفيروز بادی | _____ | مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع |
| ٤٧ - لسان العرب | ابن منظور | _____ | الدار المصرية للتأليف والترجمة |

| اسم الكتاب | المؤلف | تحقيق وتعليق | الطبعة |
|---------------------------|---------------|---------------------|--|
| ٤٨- اللمع | السراج الطوسي | عبدالحليم محمود | طبعة ١٣٨٠هـ |
| ٤٩- مجموعة الرسائل الكبرى | ابن تيمية | _____ | الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ . |
| ٥٠- مدارج السالكين | ابن القيم | _____ | الطبعة الاولى، ١٤٠٥هـ |
| | | | بدار الكتب العلمية ببيروت |
| ٥١- مدخل الى التصوف | ابو الوفا | _____ | دار الثقافة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية القاهرة . |
| ٥٣- مصرع التصوف | البقاعي | عبدالرحمن الوكيل | ١٤٠٠هـ . |
| ٥٤- المعجم المفهرس لالفاظ | مجموعة مؤلفين | ترجمة د. احمد الطيب | دار الدعوة - استانبول |
| الحديث النبوى | من المستشرقين | | ١٩٨٦م . |
| ٥٤- المعجم المفهرس لالفاظ | محمد فؤاد | _____ | المكتبة الاسلامية بتركيا - استانبول |
| القرآن الكريم | عبدالباقى | | |
| ٥٥- المغنى والشرح الكبير | ابن قدامة | جماعة من | دار الكتاب العربي |
| | للمقدسي | العلماء | للنشر والتوزيع ١٣٩٢هـ |
| ٥٦- نشأة الفلسفة الصوفية | د. عرفان | _____ | المكتب الاسلامي |
| | عبدالفتاح | | |
| ٥٧- هذه هي الصوفية | عبدالرحمن | _____ | مكتبة اسامة بالرياض |
| | الوكيل | | |

* فهرس الموضوعات *

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|------------|
| المقدمة | ١ |
| تمهيد | ٦ |
| حياة شيخ الاسلام | ٦ |
| كتاب الاستقامة ^١ | ٩ |
| الرسالة القشيرية ^٢ ومولفها | ٩ |
| تعريف التصوف | ١٢ |
| من اين اخذت كلمة صوفي | ١٢ |
| نشأة التصوف وتطوره | ١٦ |
| - <u>الفعل الأول</u> : (السماع وأقسامه | ١٩ |
| - المبحث الأول : تعريف السماع | ١٩ |
| - اقسام السماع | ٢١ |
| - المبحث الثاني : السماع المشروع وأدلتها ^٣ | ٢٢ |
| - المبحث الثالث : حكم الغناء | ٢٥ |
| - الأدلة على تحريم الغناء | ٢٦ |
| أولا : من القرآن | ٢٦ |
| ثانيا : من السنه ^٤ | ٢٦ |
| ثالثا : من الآثار | ٣٠ |
| رابعا : من العقل | ٣١ |
| - المبحث الرابع : | ٣٦ |
| القسم الثالث من أقسام السماع المباح من | ٣٦ |
| الغناء والقماثد والأشعار | |

- الفصل الثاني : (السمع الصوفي) ٤٥

- المبحث الأول : نشأة السمع وتطوره عند الصوفية ٤٥

- المبحث الثاني : شبه الصوفية وأدلتهم على السمع ٤٨

- الأدلة من القرآن ٤٨

- الأدلة من السنة ٤٩

- الأدلة من الآثار ٥١

- الأدلة العقلية ٥٢

- المبحث الثالث : أحوال الصوفية عند السمع . ٥٣

- المبحث الرابع : ما يوجب السمع من بدع ومنكرات ٥٩

- المبحث الخامس : آثار السمع على الصوفية ٦٣

- المبحث السادس : أقوال مشايخ الصوفية في السمع ٦٩

- الفصل الثالث : (موقف ابن تيمية من السمع الصوفي) .. ٧٣

- المبحث الأول : ردوده على أدلتهم وبيان الحق في ذلك ٧٣

أولا : رده لأدلتهم من القرآن ٧٧

ثانيا : مناقشته أدلتهم من السنة ٨٥

ثالثا : مناقشته أدلتهم من الآثار ٩٦

رابعا : الرد على شبههم العقلية ١٠٠

- المبحث الثاني : المقارنة بين السمع الشرعي .. ١١١

والسمع الصوفي

- المبحث الثالث : توجيه ابن تيمية لأقوال مشايخ
الصوفية ١١٤

- الخاتمة ١١٩

- فهرس المراجع ١٢١

- فهرس الموضوعات ١٢٦